روايات عبير الجديدة

فيوليت وينستر

الضياع

www.elromancia.com
مرمورية

روايات عبير الجديدة

www.elromancia.com

الضياع

استيقظت ارابيل لتجد نفسها وقد فقدت ذاكرتها في احدى مستشفيات اسبانيا، وكل ما يتعلق بماضيها وحاضرها، ولم تكن لتتوقع ابدا ان يأتي رجل ويدعي انه زوجها، هل هي متزوجة من الدون كورتيز دي لا دورا، لا تعرف، وكان كل ما عرفته هو ما اختاره هذا الرجل من ذكريات حياتها الماضية.

كيف يمكن لها ان تصدق بأن ما يقوله هو الحقيقة، خاصة وانها تشك في هذا الرجل وتعتقد بوجود رجل آخر في حياتها، رجل احبته ووهبته حياتها، وليس هذا الرجل الذي يتحكم بها كيفما يريد، عليها ان تهرب بعيداً عن الدون كورتيز قبل ان تصبح اسيرة هذا الغريب، ولكن كيف سيمكنها ان تفر من هذا الرجل وهي مجرد يتيمة ليس لديها احد في هذا العالم.

الفصل الأول

وصلت ازهار الكاميليا ذات اللون الكريمي، وكانت الفتاة الراقدة في السرير تنظر اليها غير متيقظة لجمالها الغريب وغير مهتمة لمعرفة من أرسلها أو حتى من احضرها بيديه.

ففي اليوم التالي وصلت عناقيد العنب ذات اللون الأرجواني الداكن وكانت العناقيد رطبة ومقدمة على صحن تسلط ضوء الشمس عليه. وبعد ذلك اتت الحلويات بعلبة من الساتان مربوطة بشريط ازرق، وفي هذا الوقت كانت تشعر الفتاة بأنها اقل ضعفاً وبأنها قادرة على الوصول الى الكرت الذي ثبت على العلبة وتلتقطه. سان ديفيلا قرأت الكلمات بشفتيها ولكن عقلها كان خالياً تماماً على اي معنى يدل عليه الاسم. هل كان ذلك اسم منزل؟ هل هو وطنها، او هل هناك شخص يعيش هناك؟ ذو قلب رقيق ارسل لها هذه الزهور والفاكهة والحلويات الثمينة.

عندما دخلت الممرضة الى الغرفة نظرت بعينيها الى العلبة وقالت:

«انها تبدو مثيرة جداً للمسها ولكنني اخشى انني لا استطيع المقاومة».

استلقت المريضة في السرير وراقبت الممرضة وهي مأخوذة بعينيها اللاتينيتين وسواد شعرها تحت ثوب التمريض الأبيض وقالت:

«اين أنا؟».

كانت تلك المرة الأولى التي تسأل فيها المريضة هذا السؤال ورددت سؤالها ثانية:

«اين انا؟».

«انك في مستشفى في قرطبة».

اكلت الممرضة حلوى زهرية اللون وابتسمت للوجه الشاحب على الوسادة.

«قرطبة..؟».

«في الاقليم الجنوبي لأسبانيا. الا تذكرين سنيورا؟».

«لا اذكر شيئاً كهذا».

رفعت الفتاة يدها اليسرى ولكنها وجدتها خالية من أي خاتم فقالت.

«لماذا دعوتني سنيورا؟ هل انا... متزوجة؟».

«بالحقيقة، القي نظرة على يدك اليمنى».

وبعدها وكأن الممرضة شعرت بأن المريضة ما زالت تفتقد للقوة تقدمت منها ورفعت يدها النحيلة حيث انتشر نور الشمس في الغرفة ولمعت في يد الفتاة الجواهر الزرقاء والخاتم الذهبي. حدقت الفتاة في الخواتم وارتسمت في عينيها نظرة خوف وسرت في قلبها نبضات خوف جعلت انفاسها تتقطع. مرّ الم برأسها ونظرت الى اللمعان الغريب، كان انف الفتاة رقيقاً وشفتيها ممتلئة، وكان شعرها مجدولاً ويصل الى اغطية السرير وكان ذلك ضوء من الشمس ناسجاً نفسه حول الذهب الخالص... ذهبي لامع كما احد اعلام المعارك. في الحاضر كان وجهها شاحباً مع بعض الجمال المخفي فيه.

بدت عيناها وكأنها منومة مغناطيسياً بواسطة خاتم الزواج،

وبعدها عضت على شفتيها بألم وكأن ذلك نتيجة شعورها بعقلها الملبد. التفت يديها في قبضة واحدة حتى بدت مفاصل يديها بيضاء اللون نسبة الى لون جلدها الرقيق.

«لماذا هذه الخواتم في يدي اليسرى؟».

حدقت الفتاة في الممرضة، ولم يبدو ذلك غريباً ان تكون على معرفة بحقائق الحياة وجاهلة لما يخصها شخصياً وقالت الممرضة.

«ان زوجك اسبانياً سنيورا انها من عادات اسبانيا».

«ارى ذلك».

عضت الفتاة على شفتيها واضافت:

«و... وما هي جنسيتي؟».

«لقد اخبرونا انك من بوسطن في الولايات المتحدة».

«انا اميركية! هل تعرفين... اسمي؟».

ارتسمت نظرة شفقة في العينان اللاتينيتان، وكان هناك شيء من اليأس في سؤال الفتاة لمعرفة اسمها.

«ان اسمك ارابيل. اسم جذاب اليس كذلك؟».

«ارابيل».

قالتها الفتاة بهمس لهذا الاسم الغريب الذي لم يفتح الباب لذاكرتها الضائعة.

«وما هو... القسم الاسباني؟» سألت الفتاة.

«انت السنيورا الديفونزو دي لا دورا».

قالتها الممرضة ورنة خوف تتخلل صوتها.

استوعبت ارابيل الاسم ولكنه كانت غير قادرة على ربطه بأي شيء. تعلقت اصابيع ارابيل بالأغطية وكان ذلك كل ما استطاعت فعله لتمنع نفسها من البكاء ان ذلك غير صحيح... وغير معقول ان تكون زوجة لأحد الرجال الاسبان. شعرت وكأنها سقطت في حلم غريب وغير قادرة على الاستيقاظ منه. كانت جاهلة تماماً لهويتها الحقيقية وربما غداً عليها ان تقابل رجلاً ربما يكون عابس

www.elromancia.com

وكبير كما اسمه... غريب يأتي ويعلنها كزوجته.

«انا... انا خائفة».

قالت ذلك وتحولت نظرتها الى الغرفة الطبية وأضافت:

«كيف اتيت الى هنا... ماذا حصل لي؟ هل تعرضت لحادث؟».

«لا يجب عليك ان تفكري بأي شيء من ذلك، سنيورا، ليس في الوقت الحاضر والآن دعيني ارتب وسائدك لتصبح اكثر راحة».

«لا».

سحبت ارابيل نفسها من الممرضة وقالت:

«انك تراوغين ويجب عليّ ان اعرف ما جعلني ابدو بهذه الحالة. غير قادرة على تذكر شيء بسيط مثل اسمي، غير قادرة على تذكر ولو احد التفاصيل عن... وجه زوجي، ماذا حصل لي؟».

«ارجوك لا يجب عليك ان تثوري».

بدت الممرضة مضطربة ايضاً وأضافت.

«ان ذلك غير جيد لك. وسوف تسوء حالتك ثانية...».

«من ماذا؟».

كانت عينا ارابيل الزرقاوين يائستين وأضافت:

«يجب ان تخبروني».

«لقد اصبت بفقدان الذاكرة نتيجة اهتزاز برأسك».

عضت الممرضة على شفتيها وأضافت:

«هذا كل ما استطيع قوله، وسوف يشرح لك الدكتور كل شيء عندما تكونين بحالة افضل. ولكن عليك ان تفهمي انك ما زلت ضعيفة ويجب ان تريحي جسدك وعقلك، وبعدها تصبحين افضل بكثير».

حدقت ارابيل في وجه الممرضة وسمعت دقات قلبها تحت ثوبها الليلي وقالت:

«اذا لم تخبريني في هذه اللحظة، فأنا اريد من الدكتور ان يحضر الآن، يجب ان اعرف... يجب علي ذلك ايتها الممرضة والا فانني سأجن».

«حسناً».

بدت الممرضة حائرة وقالت:

«سوف ارى ما اذا كان الدكتور غوردانو موجود، استلقي براحة سنيورا، ودعي نبضك يهدأ قبل ان يحضر».

اقفلت الممرضة الباب وتركت ارابيل بمفردها، كانت ما زالت تمسك بالغطاء وكان خيط الشمس المسلط على الجواهر في خاتمها ما زال ساطعاً. اذاً فهو ثري، هذا الاسباني الذي تنتمي اليه، هذه الصورة المبهمة التي ضاعت في خضم عقلها المجروح. كان قادراً على تأمين غرفة خاصة لها في هذه المستشفى الاسبانية، ويبدو انه يهتم لأرساله الفاكهة، الزهور والحلويات.

كان عليها ان تشعر بأنها محمية وهناك من يهتم بها، ولكنه بدلاً من ذلك اثار اعصابها وجعلها متوترة، في عقلها كان هذا الرجل يمثل الفراغ، ولكن يبدو ان جسدها يعرفه.

كيف يمكن لها، هي الاميركية ان تتزوج اسبانياً، اغلقت عينيها وحاولت ان تتذكر شيئاً ما، ولكن لا شيء ابداً، كيف حصل لها ان تعرضت لأرتجاج في مخها... هل تلقت ضربة على رأسها؟.

ما معنى ذلك... هل يمكن ان يكون هناك اشياء في حياتها لا تريد ان تتذكرها حقيقة.

كانت قريبة من ان تغفو عندما فتح باب غرفتها وظهر هذه المرة رجل ذو شعر اسود ويرتدي معطف ابيض، تقدم من سريرها وراقبته بينما كان يأخذ يدها ويمسك بمعصمها بين يديه النحيلة، كانت عيناه مركزتين على وجهها ورأت تقطيبة عبوس ترتسم على جبينه.

www.elromancia.com

«كنت تجهدين نفسك اليس كذلك. . . ان ذلك ليس من صالحك وسوف يجعلك تشعرين بالتعب ثانية».

«ان ابقائي في الظلام من دون معرفة تفاصيل الحادث الذي تعرضت له يبقيني متوترة. . . انني جاهزة لتخبروني، وانا لست بطفلة، اذا ما كانت هذه الخواتم التي في يدي هي دلالة على انني انتمي لشخص ما».

«ان المشكلة هي».

جلس على طرف سريرها بحرص وحرك عينيه على وجهها وقال:

«لا استطيع ان اقول لك قد تعرضت لحادث ما. . .».

«انت تعني. . بأن احداً ما ضربني على رأسي؟».

«آه، اعتقد بأنك فتاة شابة حاذقة، ان النساء الاميركيات متعلمات ولهن عقول حيوية وذات فضول غريب، نعم، لسوء الحظ لقد ضُربت على رأسك، والنتيجة كانت اهتزاز مفاجيء تركك، ولو مؤقتاً، فاقدة لذاكرتك. ليس من النوع الدائم، ولكنه يحتاج للوقت، لا يجب عليك ان تجبري عقلك لكي يستجيب لارادتك سنيورا، ان الدماغ عضو هش جداً».

«من ضربني على رأسي؟».

كان صوتها هادئاً ومشدوداً وأضافت:

«اخبرني ذلك على الأقل».

«انني افضل ان يخبرك ذلك السنيور هيدالغو».

«من؟».

اتسعت عيناها وهي تحدق فيه وهنا قال لها:

«زوجك، سنيورا».

ارتسمت نظرة عطف في عينا الدكتور وهو ينظر الى الفتاة.

«الم تتذكري اي شيء فيه؟».

«لا شيء ابداً، عندما ذكرته بدا لي وكأنك تتكلم عن غريب، وأيضاً شخص مخيف. .».

«وصف جدير به».

ضرب الدكتور غورداتو على يدها وقال:

«انك تدينين له بحياتك، حتى ولو كنت غير قادرة على تذكر التفاصيل».

«حياتي!».

شعرت ارابيل ثانية بأعصابها تتوتر وقالت:

«ما هو الشيء البطولي الذي قام به».

عادت تقطيبة الدكتور ثانية وبدا قلقاً من جراء توترها وخوفها من الشخص الذي كان عليها ان تتذكره اول شيء، بدلاً من ان تنقبض من مجرد ذكره. وقال الدكتور:

«هذا شيء كثير لاقوله لك، سنيورا، لقد القي القبض عليك في فنزويلا لاخفاءك ولدين تسببا في حرق معمل كبير لتكرير البترول - وهذا عمل متمرد في ذلك القسم. . . معارضة الاشخاص الذين في السلطة. لقد قدمت لهم مأوى في شقتك، ولكن احد الجيران تساءل عما في شقتك عندما سمع عدة اصوات فيها بينما كنت انت في العمل كسكرتيرة في شركة تنفيذية. ولقد اقتحمت شقتك وعثر على الولدين والقي القبض عليك من قبل الشرطة، ويبدو انك تعاركت معهم وحاولت الهرب منهم عندما ضربت، ووصلت اخبار عن اعتقالك الى السنيور الدي فونزو دي لادورا من قبل شخص يعمل عنده، وعمل من اجل اطلاق سراحك بدلاً من ان تكوني الآن في احدى الزنزانات، غير مدركة لهويتك ومتروكة لمصيرك، الرجال الحذرين لا يتورطون في الأعمال السياسية، ولكن السنيور هيدالغو اضطر ان يفعل ذلك لمصلحتك. . . لقد تزوجك وأخرجك من فنزويلا كزوجة له».

اصغت ارابيل بانتباه شديد إلى كل كلمة كان يقولها الدكتور، ولكن ولا اي كلمة جعلتها تشعر بها، الثوار اللاتينيون، رجال الشرطة القساة. . . ماذا كانت تفعل مع هؤلاء؟ فقط النظرة الجدية في عينا الدكتور جعلتها تفكر بكلامه بصدق وتصدق انه لا يمكن

www.elromancia.com

ان يروي شيء خيالي.

«ولكن انا... انا لا اتذكر هذا الشخص، ويبدو من الغريب ان يورط نفسه مع شخص ما كان مجنوناً كفاية ليخبىء ولدين...»

امتلأت عينا ارابيل بالحيرة وأضافت:

«هل ذلك يشكل اي شيء -كتور؟».

«لا أعرف ربما نعم، ولكن في الوقت الحاضر فانت ما زلت في حالة صدمة وارتباك عقلي، ولكن بعد حين عندما تتذكرين التفاصيل»...

«ولكن لماذا لا اتذكر وجه السنيور ابداً؟ اذا ما كان قد تزوجني بعد ان تلقيت الضربة على رأسي فانه حتماً موجود هنا في عقلي حتى ولو انني لا اذكر شيئاً مما حدث قبل ذلك».

«ان فقدانك للذاكرة حصل فعلياً عندما كنت في الطائرة الى اسبانيا، ولقد احضروك الينا بواسطة سيارة اسعاف من المطار وفي ذلك الوقت كنت هادئة وبغير وعيك وبقيت هكذا لعدة ساعات. وعندما استرديت وعيك واصلنا اعطاءك الأدوية لتبقيك هادئة، ولقد فضلت انا ان تظلي هادئة لفترة اطول، ولكن يبدو ان فضولك الآن كبير حتى ولو...».

توقف قليلاً وهزَّ كتفيه وأضاف:

«عادت اليك ذاكرتك الآن أو مع الوقت».

«مع الوقت!».

رددت كلماته وأضافت:

«اسبوع، شهر... سنة؟ لا استطيع ان اتذكر شيء عن حياتي السابقة وبالطبع عن فنزويلا ولماذا كنت اعمل هناك».

«ربما لأنه كان عملاً ذو راتب مغري».

ابتسم الدكتور قليلاً وأضاف:

«ان النساء الأميركيات لا تبقى في المنزل، هل هم كذلك؟ انهم يحبون رؤية العالم، وانت لست باستثناء، ربما كان غباءاً

منك ان تتورطي مع هؤلاء الولدين، ولكن في المقابل فانت الآن زوجة لرجل رفيع الشأن».

«كيف هو... رفيع الشأن؟ هل هو كبير جداً وغني».

حدق الدكتور في الفتاة للحظة وبعدها ضحك ضحكة رقيقة وقال:

«السنيور الدي فونزو دي لا دورا بعيد عن كونه نبيلاً عجوزاً سنيورا، واعتقد بأنه اتى اليك لأنقاذك من السجن فهذا دليل بأنه كان يعرفك سلفاً، ودعيني اضيف بأنك شابة صغيرة وربما لن يلاحظها احد في البلاد اللاتينية ولكن بلون شعرك الأشقر نعم».

«هل انا شقراء؟».

حدقت فيه للحظة وبعدها بحثت عن جديلة شعرها وراحت تراقبها وقالت:

«أرى ذلك... اوه يا الهي، انه من المريع ان اكون هكذا، لا اعرف نفسي ولا عائلتي التي ربما تكون هناك في اميركا، لماذا لم يساعدوني... هل هذا مستغرب؟».

«لا يجب عليك ان تعذبي نفسك بكل هذه الأفكار، فكلما حاولت كلما هربت منك الذكريات».

التقط الدكتور مرآة لليد من خزانة صغيرة ذات قفل واعطاها قائلاً:

«انظري جيداً الى وجهك، سنيورا، لا اعتقد بأنك ستكونين يائسة».

قربت ارابيل المرآة ورفعتها ببطء الى شعرها وانعكست الصورة امامها، عينان زرقاوان داكنتان تسألان مئات الأسئلة، شفاه رقيقة وارتسم في احد زواياها عصب متحرك، عظام وجنتين عالي مع تجاويف صغيرة تحتها، وجه مبهم وهو ينتمي اليها... وجه جذب غريب اسباني... رجل قال عنه الدكتور بأنها كانت تعرفه وانها تزوجته قبل ان تقوم برحلتها معه الى اسبانيا.

سرى تعب مفاجىء في كافة انحاء جسمها وكأن الدكتور شعر

www.elromancia.com

بذلك فما كان منه الا ان اخذ المرآة منها وجعلها تستلقي وقال:

«سوف ارسل مُسَكن مع الممرضة، ودعيني اؤكد لك ان النوم هو افضل دواء لك».

«ولكن ما هي الأحلام التي تصاحب النوم...».

«اعتذر منك سنيورا».

بدا الدكتور مرتبك فقال للفتاة:

«اعتقد بأنني انتمي لأحد، وهذه علامة جيدة هل تعتقد ذلك؟ هل تعتقد انني سأستيقظ يوماً وأجد الغيوم وقد انقشعت».

«ربما تفعلين سنيورا، ولكن لا تشبكي احلامك كلها ببعض على هذه الذاكرة، يجب ان تسترجعي كل شيء على حدة، من أجل سلامة عقلك.

«لست مجنونة، هل انا كذلك؟».

«لا قدّر الله».

ابتسمت للدكتور وقالت:

«انت لطيف دكتور... هل تعتقده كذلك؟».

«ان الاسباني الذي يعيش مع زوجة شابة هو لطيف بالتأكيد سنيورا».

كلمات مريحة، ولكن هل هي صحيحة؟ كان من نوع الدكاترة المتفهمين، ولكنها كانت زوجة غير قادرة على تذكر زفافها، وكونها لا تعرف شيئاً عن عائلتها واصدقائها شعرت بأنها وحيدة وكانت مستعدة لتقبل ما يقوله لها هذا الرجل. وأخرجت يدها من داخل الغطاء فضربت اشعة الشمس على الجواهر الزرقاء التي تزين خاتمها.

وفي اليوم التالي ساعدتها الممرضة في اخذ حمامها، والبستها فستان نوم من الحرير ومشطت الفتاة شعرها وحررته من جديلته فوصل الى كتفيها، رتبت الوسائد بعناية وراء ظهرها، وعرفت ارابيل بأن هناك شخص قادم لرؤيتها دون ان يخبرها أحد ذلك.

وقفت الممرضة تبتسم لها وقالت:

«تبدين شابة صغيرة، ومثل فتاة جيدة تستحق الآن مكافأة».

«انت تعنين بمكافأة احد الزوار، اليس كذلك؟».

وتساءلت ارابيل في سرها كيف باستطاعتها ان تكون هادئة بينما كانت اعصابها مشدودة ومتوترة، ارادت ان تتأوه، وان ترجوهم ان لا يتركوها لوحدها مع هذا الرجل الغريب الذي يدعي انها زوجته، كان هناك مؤامرة من وراء ذلك، اذا ما كان لدى اي امرأة زوج وتحبه فإنه لا يمكن ان يخرج من عقلها بهذه السهولة.

اتجهت عيناها نحو ازهار القرنفل الوردي التي احضرت منذ حوالي الساعة، وفي اسفل المزهرية كان هناك رزمة لم تفتحها ارابيل بعد.

«هل افتح هديتك؟».

سألتها الممرضة وأضافت:

«انا أكيدة بأنك مسرورة ومتلهفة لمعرفة ما ارسله لك زوجك».

«ليس تماماً».

لم تكن لهجة صوت ارابيل مصطنعة، ولم تشعر بشيء تجاه الرجل... وفكرت بأنه ممكن ان لا يخبر احداً بحالتها ويقول انها مسافرة بينما هي تعاني من فقدان الذاكرة في احدى المستشفيات.

كل الزهور كانت تأتي منه، وكذلك الهدايا، وعندما سألت اذا ما كان هناك اي مخابرات تسأل عن حالتها، كانوا يقولون لها بأنه لا يوجد، وربما هم يعتبرون ان الشخص الذي كان يمكن ان يهتم لها هو هذا الاسباني الغريب الذي يدعي بأنه زوجها.

«تعالي، اسمحي لي ان افتح هديتك، والا سيعتقد زوجك بأنك لا تهتمين لمبادرته اللطيفة».

«انا بالتأكيد لست ممتنة له لتركه عائلتي واصدقائي في حالة ضياع وحيدة عن مكان وجودي. انا اكيدة ان هذه الزهور والهدايا يحضرها لكي يريح ضميره فقط».

صدمت الممرضة من كلمات ارابيل وبدا ذلك في عينيها فقالت:

«تأكدي بأن زوجك هو رجل نبيل، انه سيد الرجال، ولا يمكن ان يقوم بأي عمل مشين».

«انا لا اشك بأنه بارع في اغرائه الأشخاص بواسطة زهوره وهداياه... ولكن لابد ان لي اقرباء في أميركا ويبدو انه لم يخبرهم عما اصابني، هل الأزواج الاسبان يتصرفون هكذا في المسائل الكبيرة، وكأن الفتاة عندما تتزوج لورد لاتيني لا يصبح لها اي عائلة؟».

«هناك امكانية لكل شيء سنيورا، ربما ليس لديك احد في اميركا باستطاعته ان يخبرهم، ويبدو لي ان من الظلم الحكم عليه، خاصة وانت في هذه الحالة».

عضت ارابيل على شفتيها، ربما صحيحاً ما قالته الممرضة، واذا كان ذلك صحيحاً فإنه يزيد وحدتها دون ان يريحها من تجنب لقاء هذا الرجل... وشعرت بضعف في جسدها وبأنها كانت .... كانت تحت رحمة هذا الشعب الاسباني الذي هو لطيف كفاية ولكن يبدو انه يهاب السنيور الدي فونزو دي لا دورا.

ابتسمت الممرضة. وامسكت انفاسها باعجاب، كان هناك مشط مرصع على شكل صدفة سلحفاة رقيقة، من النوع الذي تضعه الفتيات اللاتينيات في شعورهن. وكان هناك ايضا مروحة بيضاء رسمت عليها ازهار ذهبية. ولكن ارابيل احتفظت بيديها ومنعت نفسها من ان تلمسهم.

«اليست هذه الأشياء مفرحة؟».

فتحت الممرضة المروحة وحركتها بيد خبيرة وقربتها من وجهها حتى لم يظهر منه سوى عينيها اللاتينيتين.

«باستطاعتك اخذها، لكونك كنت لطيفة معي».

«أوه لا».

وبسرعة اغلقت الفتاة المروحة ووضعتها في الصندوق وقالت:

«من ميراث العائلة ويجب عليك ان تحافظي عليها وكأنها كنز».

«ولكنك فتاة لاتينية وهي تناسبك، انا احب ان تأخذي المروحة، والمشط اذا ما احببت».

«لا».

رجعت الممرضة عن السرير، وارتسمت نظرة حيرة في عينيها، وكأنها لم تعرف ابداً شخصاً كارابيل التي تزدري الهدايا التي تتلقاها من زوجها وكأنها لا تعني لها شيئاً وقالت الممرضة.

«سوف اتركك الآن، سنيورا لكي اكمل واجباتي، هل هناك أي شيء تطلبينه قبل ان اذهب».

«ماذا عن ملابسي ومحفظة يدي... لا أريد اكثر من الخروج من هنا حالاً قبل ان يصل ويقفل علي القفص اكثر فأكثر. انا... انا هنا كأنني حشرة الا ترين ذلك؟ انا اناضل ولكن كل ما تفعلينه هو مساعدة ذلك الرجل لتثبيت سجني اكثر».

هزت الممرضة رأسها قليلاً وكأنها تخبر نفسها بأن الأميركيين هكذا فقالت:

«تفضلي قليلاً من العنب سنيورا، في وقت قليل سيكون السنيور هيدالغو معك وكل شيء سيكون على ما يرام... سترين».

اغلقت الباب خلفها فصرت ارابيل على اسنانها من غيظها، حدقت في المروحة والمشط.. جذاب، لاتيني كما كل شيء حولها، لم يكن هناك اي شيء يبدو ملكاً خاصاً له، ولا حتى قميص نومها الذي كان مصنوعاً من الحرير الاسباني تنهدت وشعرت بأنها داخل احد الأفخاخ وهي تعرف انها لا تستطيع ان تفعل شيء سوى انتظار هذا الغريب الذي يسمي نفسه زوجها. ربما برؤيته سيتضح شيء لعقلها، ولكل هل هو سيحرر قلبها من الرعب الذي راح يلفه.

أوه، لماذا تشعر بقلبها هكذا عندما تتذكر قولها للطبيب عن

هذا الرجل ومعروفه معها، لقد اتى لانقاذها واستعمل نفوذه لكي يخلصها من براثن رجال الشرطة السياسيين... ولكن كيف... ولكن كيف كانت هي ارابيل تختلط مع هكذا اشخاص.

هل كان كل شيء كذباً. ومخططاً له من قبل هذا الاسباني الذي سيأتي بعد قليل؟ ولكن لماذا يكذب؟ وما هي حجته؟ هذه الخواتم التي في يديها كانت حقيقة، انها تناسب اصابعها والجواهر الزرقاء تناسب لون عينيها، كان عليها ان تصدق بأنها السنيورا الدي فونزو دي لا دورا.

ماذا قال الدكتور... بأن السنيور تزوجها لكي يخرجها من فنزويلا؟ هل هذا يعني انها زوجة بالاسم فقط وأنها قادرة على العودة الى أميركا في حال تحسنت حالتها؟

اوه، نعم، لهذا يريد السنيور الدي فونزو دي لادورا رؤيتها، سوف يشرح لها ويقول بأن زواجهم كان ضرورة، ولقد وصل الى نهايته، والآن هي آمنة من ان يلاحقها احد ولا يمكن لأحد معاقبتها لمساعدتها الولدين، سوف تصبح حرة ثانية، ابتسمت قليلاً ولكنها كانت ابتسامة قصيرة جداً وماتت كما النور الذي سطع على الخواتم وذهب بعيداً.

لم تكن ارابيل مضطربة كثيراً لتجعل نفسها تعتقد بأن الجواهر يمكن ان تكون مزورة... كما الزواج الذي لا تتذكر حتى يوم حدوثه.

الفصل الثاني

دقت الساعة الموجودة قرب خزانة الغرفة، وكان ضوء الشمس الذي انعكس على الجدران البيضاء علامة على ان اليوم كان يوم عمل وكان يوماً حاراً. في الواقع كانت اسبانيا بلداً حاراً. بينما كان الطقس هنا في المستشفى بارداً وكانت تشعر بهواء نقي يأتيها من النافذة الحديد قرب سريرها.

وفوق الجدران الذي يواجه سريرها كان هناك صورة نافرة للسيد المسيح، وفجأة اغلقت عينيها وتلت صلاتها التي يمكن ان لا تستجاب في بلد كاثوليكي كهذا الذي يتمسك بشدة بالتقاليد القديمة التي تقدس الزواج.

وعندما فتحت عينيها كان باب غرفتها مفتوحاً وكان هناك رجل يقف تحت الباب مباشرة، كانت عينا ارابيل مركزة عليه وفكرت به كم هو داكناً نسبة الى ديكور الغرفة الأبيض، حتى بذلته كانت داكنة وتناسب جسده تماماً. كان قميصه ابيض ناصع في مقابل بشرته السمراء. وكأنه احد الطوارق واقفاً هناك. المنتقم ذو العين الواحدة.

نظرت ارابيل الى الرقعة المخملية السوداء التي غطت عينه

www.elromancia.com

اليسرى فيما كان هو يرفع احد يديه ويضعها على عينه وارتسمت ابتسامة على شفتيه وقال:

«لا تدعي هذه تقلقك، الا تذكرينها؟».

كان صوته عميقاً وغريباً وشعرت ارابيل بتوتر اعصابه بينما نظرت الى عينه السليمة ووجدتها وكأنها منحوتة في وجهه الأسمر.

وكانت عظام وجهه القوية بارزة تحت جلده الأسمر، وبدت جبهته كجرح اسود فوق عينه السليمة وفوق الرقعة التي جعلت الأجراس تطن في رأسها. بالطبع لا يمكنها ان تنسى تفاصيل كهذه عن الرجل الذي تزوجها.

درست عيناها هيئته المهيبة، ولم يكن طوله مخيفاً، ولكنه كان مفتول العضلات وذو مبسم لين، قوي متحكم بكل عضلة من جسده... اغلق الباب بجدية وراءه وكانت ارابيل تشعر بتراجعها غريزياً تجاه الوسائد، عبر الغرفة باتجاه سريرها وهو يمشي بثقة وكأن عظامه وعضلاته تستجيب الى طبيعته الحارة. مال نحوها وجذبها اليه من يدها اليمنى الى ذراعيه... وشعرت بهم وكأنهم نار... حية وغريبة.

«انت تستلقين هنا بوجه يشبه لون الحليب».

لونت لهجته اللاتينية كلماته بحيث بدت وكأن لها عدة معاني.

«دعي الشمس لتكون علاج لك».

تحركت اصابعها بين يديه وأرادت ان تفر هاربة منه، قربه هكذا منها فانه لا يحرك اي من ذكرياتها، ولم يستطع الا ان يرفع في نفسها شعور باليأس والضياع، كانت الخطوط بجانب عينيه وشفتيه محفورة في وجهه وجلده الأسمر، وكأنه عاش معظم حياته تحت الشمس وكان رجلاً ذو مسؤوليات عدة، وفكرت انه ربما يكون في منتصف الثلاثينات، بينما كان عليها ان تنظر الى المرأة فقط لتعرف انها ما زالت في اوائل العشرينات.

لم يكن شخصاً غير ناضج، هذا الرجل الذي يحتضنها بين

يديه وكأنه يؤكد لها مكانته... تركزت عينيها على شفتيه، والتي دلت على الصرامة وعلى عواطف الرجل الجياشة في شفته السفلى التي تقلصت بحدة.

«انك تنظرين الي وكأنني اخيفك... لمستي، وجهي، هل هما غرباء عنك، ارابيل؟».

ارتجفت قليلاً عندما سمعته يلفظ باسمها... كل شيء فيه كان اكثر من غريب... هذا الرجل الذي اتى من الشمس الحارة، التربة القاسية، والقلب العميق لأسبانيا، لقد عرفت ذلك عنه بينما نظرت اليه دون ان تستعيد شيئاً من ذاكرتها.

وثانية لمس عينه العمياء بأحد اصابعه.

«انا الدون كورتيز، وانا اؤكد لك، والحيرة في عينيك، بأنني زوجك وفي يوم او اكثر سوف انقلك معي الى البيت الى سان دي ڤيلا».

كانت كلماته كالشوك الذي يضرب رأسها... هذا الغريب ذو العين الواحدة، هذا الرجل الذي كان مصارعاً للثيران، كان سيد سان دي ڤيلا الذي ارسل لها ازهار الكاميليا والهدايا المشط الذي هو من صدقة السلحفاة وغيرها، كان ينظر اليها بنفس نظرة اجداده.

«هل يقع منزلك في عمق الجنوب؟».

«منزلي ومنزلك، القصر يقع في قلب الأندلس انه ابيض وجميل مثلك تماماً».

بدا قلب ارابيل وكأنه سيتوقف عندما سمعته يتكلم هكذا، وبدا وكأنها ترى ما تحويه روحه، منتصر، رجولي ولديه شيء من الوثنية، كل الصفات التي تجعله مصارع خبير، ولكن بالطبع ليس زوجاً لفتاة اميركية التي وقعت بطريقة ما بين ذراعيه بسبب دافع مجنون دفعها لأن تخبىء ولدين غريبين.

«باستطاعتنا ان نكتفي بسنة زواجية واحدة».

قالت ذلك بنبرة خوف، ونظرة استغاثة في عينيها.

«لقد وصلنا الى غايتنا، وانا ممنونة جداً لك، دون كورتيز».

«لقد انجز زواجنا بواسطة كاهن كاثوليكي يا عزيزتي».

حدق الى اسفل ناظراً اليها وقال:

«بالنسبة لي، ارابيل، فان الزواج مقدس».

«ولكننا لسنا رجلاً وامرأة... ليس بالمعنى الحسي للكلمات».

«وكيف تعرفين ذلك، فأنت لا تتذكرين شيئاً عني او ماذا كنت بالنسبة لك ان عقلك ضائع في ضباب ويجب علي انا ان ارشدك».

«لقد اخبرني الدكتور لماذا تزوجتني».

قالت ذلك، وكانت الآن جالسة كأنها سجينة في قفص الاتهام، والذي دافع عن حريتها رجل ذو وجه داكن، عينا نسر وفك كالحديد.

«لقد قال بانك انت من فعل ذلك... لتنقذني من السجن... كان ذلك لطف كثير منك، ولكنني الآن ارجوك ان تفهم بأنني لا اعرفك، وان اكثر ما اريده هو الذهاب الى وطني والى اهلي في اميركا، يجب عليك ان تخبرهم عن مكاني، يجب عليك ذلك».

«ولكن لا يوجد احد لاعلامه ارابيل».

نظرة مباشرة اليها، وبنظرة كلها تهديد وقال:

«ليس لك احد غيري، انا حاميك، راعيك وزوجك، وانوي ان اكمل جميع واجباتي... كما ستفعلين انت».

«انت تعني... ان ابقى متزوجة منك، يعني ان ابقى زوجتك... ضد ارادتي؟».

«انت زوجتي».

كانت لهجة صوته جافة وأضاف:

«انت لي سواء بإرادتك او بغيرها ارابيل، انها حقيقة في هذه الحياة ويجب عليك ان تواجهيها».

«انا لا احبك».

«كيف تعرفين ذلك؟ ان ذاكرتك تخونك، لذا كيف يمكن ان تكوني متأكدة من الذي كان بيننا، لقد فقدت ذاكرتك كلياً في فنزويلا».

«هل تقول بأنني احبك؟ اوه لا، لا يمكن لي ان انسى شيء مثل الحب! انا... انا ربما نسيت ما كان مؤلماً لي، ولكنني بالتأكيد اتذكر ما كان يسعدني».

«فقدان الذاكرة، كما سيشرح لك الدكتور، لا تميز الذكريات السعيدة عن الحزينة، انها تغزو العقل كله كما الضباب الذي يغزو المدينة، الشمس ضائعة، والاتجاهات صعبة، والمرأة الحكيمة تتبع نصائح الصديق».

وهل انت كذلك سنيور».

التقت عيناها بعينيه في نظرة اخلاص وكأنهما ولدين، وكأنها عرفت انها سوف تثق به لأنه لا يوجد احد غيره.

«فقط الوقت سيخبرك من انا.

«وهكذا علي ان استغل الفرصة واتبعك؟».

«نعم، انا لاتيني ولا الين عندما يتعلق الامر بالمرأة التي يطلبها القانون».

«انت تلاحظ، دون كورتيز، انني لم انجذب الى فكرة الزواج من غريب».

«ارابيل، كلنا نتزوج اشخاص غرباء، ان العيش المشترك هو الذي يربط الرجل والمرأة كما الطحين والفاكهة في قالب الزفاف».

«اذاً فأنت ستصر على ان اذهب معك الى البيت... هكذا؟ في ظلام حياتي السابقة، هل يناسبك دون كورتيز ان يكون لديك زوجة لا تشعر بشيء، فقط حيرة تجاه المستقبل؟».

«من الطبيعي بالنسبة لك ان تشعري هكذا».

التقط المشط ذو الجواهر الذي ارسله لها وامسكه فانعكست الشمس عليه وقال.

«سيبدو هذا ساحراً في شعرك، هل تحبينه؟».

«انه جميل جداً، هل ستحاول ان تجعلني اتحول الى امرأة لاتينية؟ سوف يكون بين يديك نوع هادىء سنيور، وحتى وانا فاقدة لذاكرتي فأنا لا اعتقد انه من طبيعتي ان اكون هكذا، انها ليست حقيقة، بأنه لا يمكن ان يكون لي عائلة يمكن اعلامها بمأزقي».

«مأزقك».

رفع بأستغراب احد حاجبيه، سيف من الحديد فوق عينيه الثاقبة كالنسر.

«انت في امان بين يدي، واذا ما بدأت تشعرين بالثقة اكثر نحوي، لذا دعيني اريك شهادة زواجنا».

وضع المشط وتناول من الجيبة الداخلية لجاكتته محفظة من الجلد الأسود، فتحها واخرج ورقة مطوية وناولها اياها وقال.

«ربما تستطيعين قراءة شهادة زواجنا بالرغم من فقدانك للذاكرة وبالرغم من انها باللغة الاسبانية، ويجب ان اذكرك بأنك تتكلمين لغتنا بطلاقة وعملت في فنزويلا لرجل اسباني تابع لي».

شعرت ارابيل بارتجاف يديها بينما كانت تفتح الورقة وتحدق فيها، ولعدة لحظات خاب املها من قراءتها للكلمات، وبعدها وجدت نفسها تقرأها... كل شيء كان صحيحاً حسب ما قاله، كان باستطاعتها قراءة الاسبانية وكانت رسمياً زوجة الدون كورتيز الدي فونزودي لادورا من الأندلس في اسبانيا.

كان اسمها الكامل ارابيل مارشا الدي فونزو دي لادورا لينوكس، مواطنة من الولايات المتحدة الأميركية وعمرها اثنان وعشرون والرجل الذي تزوجته عمره خمس وثلاثين المالك الشرعي لمسكنه في سان دي ڤيلا.

«كل شيء واضح، كما ترين يا زوجتي».

زوجتي! واصل مناداتها بهذه الصفة، وكان له كل الحق ولكن ملاحظة ذلك كانت مخفية فهي في يوم او اكثر ستسافر الى سان

دي ڤيلا حيث سيعلمها كيف تكون زوجة حقيقية.

وبينما سلمته ارابيل الأوراق الرسمية لزواجهم، شعرت وكأنها تسلم نفسها له ولا تستطيع ان تفعل شيئاً لتغير القانون، والقدر.

«لا شيء من هذا صحيح بالنسبة لي».

قالت ذلك وهي تضغط بيدها على جبينها وكأنها تجبره على التحرك وتجبر بوابات رأسها على التذكير، حيث الذكريات التي تتعلق بهذا الرجل، وهكذا فإن اسمها هو ارابيل لينوكس تعمل عند اسبانياً معروف لدى الدون كورتيز... هل بهذه الطريقة التقوا؟ بالتخمين كان كذلك... ولكنها لن تصدق، ابداً انها هي وهذا الرجل ذو الوجه الذي لا يرحم عاشا قصة حب. لم يبدو عليه انه من الرجال التي تهتم بهم، او حتى تحبهم. رجل يصارع الثيران في حلبات اسبانيا، الذي واجه قرونهم المخيفة وغرس سيفه في رقابهم حيث يصبغ الدم الأحمر الرمال تحت قدميه. كان بربرياً، كان من المخيف ان تتذكر هكذا اشياء رهيبة وتنسى كلياً اقرب الأشياء الى قلبها.

«كيف التقينا؟» صرخت ارابيل بوجهه.

«التقينا».

مال نحوها ورفع احد اصابعه الى فمها وقال:

«هذه الشفاه هي خمرتي».

حدقت في وجهه، ولعب ابتسامة في عينيه... مسيطرة، جعلتها تنبأها بأنه كان سيدها.

«هذا لا يشعرني بالزواج، انه يشعرني وكأنه اختطاف».

«هل تعرفين بأنه عندما تعارض امرأة ارادة رجل فهي تكون بمثابة العباءة التي تثير الثور؟».

«انت نسر اكثر منك ثور، دون كورتيز».

جلست منزعجة، مجبرة نفسها على عدم الابتعاد عنه، وشعرت بأنه ممكن ان يثور بقوة كأي واحد من هذه الحيوانات التي يحاربها ويقتلها.

«هل هي مروءة فيك ان تتزوجني، ام انه التحدي الذي تعلمته في الحلبة».

«شيء من الاثنين، يا عزيزتي، ومهما كانت حجة الاقناع فانت تزوجت من اسباني وقوانينه لها اهميتها في هذا البلد، وبالنسبة للزواج فهي اقل مرونة، هل اقول بأنني اثق به اكثر من بلدك وهل جعلت نفسي واضحاً تماماً؟».

«انا لست في حيرة مما اوضحته».

وبينما كانت تتكلم اخذت تراقب تقلص شفاهه، ورأت ثانية شراسة خفية تكاد تحترق تحت لطفه. انه رجل يعرف بالضبط ما يريده... لقد ارادها ولقد اعطته قوانينه الاسبانية كل حق بذلك.

«وهكذا فأنت مالك اراضي سنيور».

«ايه، انني مربي وارعى الثيران الصغيرة التي تحتاج لعناية، ولقد بيعت ثيراني الصغيرة الى المزارعين، اذا ما كنت تتساءلين».

«نعم كنت كذلك، وبالطبع في حالتك فهناك اشياء معقولة تفعلها؟».

«ربما، لست بالرجل الذي يفعل دائماً الصواب».

ارتسمت ابتسامة تهكمية على شفتيه وأضاف:

«في الحلبة ينادونني التيترو ولكني اصر على ان تناديني بالاسم المعطى».

«ذو العين الواحدة... هل كنت تستعمل عينك العمياء عندما تزوجتني سنيور؟».

«انا اكيدة انني اذا ما كنت شعرت بنوع من الحب نحوك. لكنت شعرت به الآن. الشخص يحب بقلبه وليس بعقله».

«آه، ولكن لا تنسي الجسد».

كانت النظرة التي اعطاها اياها متحدية، وكأنه في حياته كُلها كمصارع ثيران لم يجذب بواسطة امرأة ما، لا، اخبرت نفسها، كمصارع معشوق فبالطبع كانت النساء تقع تحت قدميه، وبالطبع

رموا له ازهار القرنفل واعجابهم ايضاً، وهو التقطها واستمتع بها حتى ذبلت رائحتها، ولكنه في هذا الوقت وقع في مكيدة الزواج، بدلاً من ان يختار فتاة من الأندلس ذات شعر اسود وجمال اسباني.

«نحن نقول في اسبانيا بأن التقاط الرجل الغني افضل من التقاط الرجل اللطيف، وانا ربما استحق كمية اموالي الضخمة باستعمالي غطاء الكتفين والسيف».

«انها رياضة متوحشة».

اقشعر بدنها وكانت اكيدة بأنها سترى الوحشية في وجهه... ماذا كانت المرأة بالنسبة الى الرجل الذي اعطى وفاءه لرياضة مصارعة الثيران؟ وقال الدون:

«من الأفضل او الأسوأ لشخصين ان يستعلما عن بعضهم البعض بعد زواجهم».

«ذلك يرجع للعصر الحالي».

«انه ابعد من ذلك يا عزيزتي، ذلك يعود الى وقت الاحتلال المغربي عندما كان اقصى جنوب اسبانيا مكتظاً بهم، وتدخلوا في كل شيء في الحياة وحتى في الأرض، والشعب».

«وإلى هناك يجب علي ان اذهب وأعيش... مع غريب؟».

«اعرف ان اعصابك متوترة، اعرف انه من الصعب عليك ان تقبلي ان يأتي اليك غريب ويعلن نفسه زوجاً لك، ولكن كما ينمو الخشخاش فوق حقول المعارك هكذا سترجع الذكريات»...

«الا تخاف دون كورتيز اذا ما عادت ذكرياتي واوضحت لي ان هناك اسباباً تجعلني اكرهك بدلاً من ان احبك؟».

تفحصت ارابيل وجهه واستخلصت ان أي استنتاجات عنه فستكون بكونه رجل ذو سلطة وشخصية غير عادية، ولم تفكر للحظة بأنه يملك صفات الشخص العادي.

«اذاً هل تقسم، دون كورتيز بأنه ليس لدي احد في أميركا؟».

«انا لن اقسم».

قال ذلك واضاف:

«انك زوجتي يا ارابيل وانت تحت حمايتي».

زوجته، حاولت ان تتذكر ولو للحظة واحدة من حفلة زفافهم، التي يمكن ان تكون حصلت في السجن الذي اخذت اليه. احتفال اسباني مع كاهن لاتيني ليردد الكلمات، مع رجال عابسين يقفون جانباً بينما هي تحت حراسة الدون كورتيز، شعرت بنبضها كالمطرقة... يضرب كل أمل علقت نفسها به بأن الزواج ممكن ان يلغى.

شعرت بتوغل نظرته، وبعد ذلك وكأنه قرأ افكارها يلمس شيئاً فشيئاً الخواتم في يدها اليمنى.

«هذا هو الخاتم الذهبي رمز الاتحاد، ومكان القطع التقليدية الفضية، اعطيك هذا الشريط من البلاتين ليتناسب مع الجواهر الزرقاء، ياقوت ازرق داكن يعكس لون عينيك.

تكلم كعاشق، وبينما تقلصت ثانية من تقربه ومن رقة كلماته، رأت عينه وهي نصف مغمضة وكأنها تشير إلى تهديد... تحذير بأنه ينوي ان يكون حبيبها بأكثر من الكلمات، لقد عاش حياته بخطر وعاش مغامراً، واخبرتها صورته بأنه من العسير معارضته، حيث لم يكن من النوع الذي يتأثر بالشفقة حيث ولعدة سنوات تبنى قساوة القلب والصلابة.

لماذا يشفق عليها؟ لاسبابه الاسبانية، حكمه كمصارع ثيران غرائزه الموروثة العميقة، كانت محظوظة ان تتخلص من براثن الشرطة الفنزويلية وتزوجت رجلاً ذو مركز وسلطة.

كان في عينيه المتلألأة ما يطلبه منها، ولم يكن هناك من شك بأنها قريباً ستصبح تحت رحمته اكثر من رحمتها تحت السجان العابس في فنزويلا، فلتساعدها السماء، اي دافع مجنون قادها لأن تتورط مع اثنين من الثوار، ما كانت مكانتهم بالنسبة لها؟ اصدقاء... او غرباء فرضوا عليها ان تخبثهم؟.

كل شيء كان مربكاً وبدا عقلها كورقة في مهب الريح.

«ما الذي جعلني افعل شيء كهذا؟».

قالت وهي تتنهد، وابتسم ابتسامة جافة وقال.

«انه من الجيد للمرأة ان تكون مساعدة ولكن ليس دائماً في بلد لاتيني».

«ان مكان المرأة هو في المنزل كما اعتقد، يجب عليها ان تهتم فقط بمطبخها ورغبات زوجها».

«على الاقل عندما تفعل ذلك فإنها تنقذ نفسها من ضربة قادتها الى فقدان الذاكرة، ربما الازواج الاسبان مراقبون ولكنهم لا يضربون زوجاتهم».

«ولا حتى الغير راغبات منهن دون كورتيز؟».

وانتاب ارابيل شعور بأنها هي والرجل تصرفا بنوع من المبارزة الخاصة. وشعرت بأنها تحتقره، انتابه شعور من الفرح وكأنها اصلب اسيرة جسده الصلب.

«ماذا تنوي ان تفعل بي، ال تيترو؟».

«اذاً، انت لم تنسي الحلبة؟».

اقترب منها وكان هناك نظرة ذات مغزى في وجهه الاسمر و اضاف.

«ان ذلك تتذكرينه حتى ولو لم تتذكريني؟».

«نعم».

عضت ارابيل على شفتيها وقالت.

«ان ذلك غريب ولكنني اتذكر الشيء الغير شخصي والباقي وكأن عليه ستارة كثيفة، الاشياء التي اريد تذكرها بالحاح، انا... انا يجب ان احضر حفلة مصارعة ويجب عليّ ان اكرهها مثل جهنم.

«النساء الرومنطقيات يكرهونها... كلمة رومنسية ربما اعني بها حساسية، ان النساء اللاتينيات هم اكثر صلابة، اكثر ارتباطاً بالارض، واكثر ادراك لنفسها بأنها امرأة، نوعك يهتم قليلاً بالاعمال النبيلة والكأس المقدسة... ربما يأتي ذلك من الكتب

ذات الطراز القديم، لقد قرأت كثيراً كطفلة وترعرعت متوقعة من الرجال ان يكونوا مثل هؤلاء، الابطال الخياليين الذي يطلبون القليل...»

«الميتم؟».

تعلقت بكم ثيابه، تلمسه للمرة الاولى منذ دخل غرفتها واضافت.

«اذاً فأنت تعرف من اين قدمت انا؟».

«نعم، من ميتم في مدينة بوسطن، لقد ترعرعت هناك، ولم يتبناك احد لأن السيدة المسؤولة كانت متعلقة بك، لقد ماتت الآن، وانت وحيدة تماماً في هذا العالم... عداي انا، انا يا ارابيل».

له... رجل له ارادة لا تنحني كما قضيب من حديد، لم تريد ان تكون له ولكن الاصابع تمسكت بها.

«ارجوك... اخبرني المزيد عن هذه السيدة التي ابقتني معها في الميتم.

حاولت ارابيل ان تبقي صوتها ثابت قدر المستطاع، كان وكأن هناك قوة فعالة حاولت الامتناع قبل ان تقترب منها، ولم تفعل شيء لتجعلها تشعر بالامان او الحب... محبوبة بشوق، اذا كان ما قاله صحيحاً عن الميتم فأنها تملك السبب الذي يجعلها تشعر بأنها وحيدة وتحت رحمة غريب متطلب.

«اعرف القليل عنك».

اجابها» وحول وجهه تقطيبة ارتسمت على جبينه الى لون داكن وأضاف:

«يظهر انها كانت لطيفة تجاهك وتأكدت من انك تعلمت بما فيه الكفاية لتنالي حياة مرضية. وعندما كنت في السادسة عشرة شعرت بالمرض وكان عليها ان تذهب وتعيش في طقس دافيء، لذا اخذتك معها الى كاليفورنيا، حيث كان هناك امكانية كبيرة لتعلمك الاسبانية بطلاقة، وبعد ان ماتت يبدو انك عملت في

تكساس لمدة، وذهبت من هناك الى فنزويلا لتصبحي سكرتيرة لاحدى المدراء».

«اذاً كل شيء يرجع... الى ما حصل في فنزويلا، لا استطيع ان اتذكر شيئاً عن الماضي... عقلي يشبه فراغ في صفحة بيضاء، من النوع ذات الكتابات السرية والتي... امل ان اتوصل الى حلها فجأة. اوه، ماذا علي ان افعل اذا لم اتذكر شيئاً».

«لا يجب عليك ان تقلقي بشأن ذلك... سوف تأتين وتعيشين في سان دي قيلا معي وسوف تبنين حياة جديدة لك».

«انه سهل عليك ان تقول ذلك».

استغربت ارابيل افتقاره للشفقة وقالت:

«الا تستطيع ان تضع نفسك مكان عقلي؟».

«علي فقط ان انظر الى عينيك لاكون قادراً على فعل ذلك».

اكتسى صوته نبرة حديدية جادة وأضاف:

«انا أرى الخوف هناك، وعدم ثقة بدوافعي، انت تتصورين انني اغذيك بالأكاذيب لأنك لا تريدين تصديق الحقيقة، ولكن لا مفر لك من ان تقبلي الحقيقة، بأنك تنتمين اليّ وسوف اهتم بك».

«هل... هل كنت حبيبي؟».

اندفعت الدماء الى وجهها بينما كانت تتكلم وضاقت نظراته وهو ينظر اليها.

«حتى هذا لا استطيع ان اتذكره... حتى شيئاً كهذا».

«ربما تريدين ان ترفضي اذا ما صدقت فعلاً بأنك تكرهيني».

«اخبرني»...

التقت عيناها بعينيه واضافت:

«يجب ان اعرف».

«سوف تعرفين».

شدت يده على يدها وكانت اصابعه سمراء داكنة نسبة الى اصابعها البيضاء. قوية وصلبة كجسده، لمسته كجمرة من نار اذا

www.elromancia.com

ما لامس ارابيل، يضع يده عليها كمن يوجهها نحو ثور متوحش.

نظر الى عينيها، يحتضنها وكأنها منومة مغناطيسياً، ويهزء منها للارتجاف التي لا تستطيع السيطرة عليه وقال:

«عشية زواجنا غادرنا فنزويلا في الحال، واخذنا القليل من اغراضك التي في الشقة. استقلينا عربة الى حقل للطيران وركبنا طائرة الى جنوب اسبانيا... وفي الرحلة اصابتك الصدمة متأخرة وعندما هبطنا كنت فتاة مريضة ويجب نقلك الى المستشفى بواسطة الأسعاف. اننا رجل وزوجة يا عزيزتي ولكننا لم نتزوج فعلياً اذا كان ذلك ما اردت ا ن احدده.

«نعم».

قالت الكلمة بصوت خافت وأضافت:

«اذا ما كان زواجنا صورياً فقط اي على الورق فباستطاعتنا ان نبحث في الانفصال واعود انا الى اميركا. نحن ما نزال اشخاص منفردين... ولم يحصل شيء يجبرني ان احمل طفلك، والذي اعرف انه قد يربطك كلاتيني، نستطيع ان نتحرر من بعض، الا نستطيع ذلك؟».

احتجت عيناها الزرقاوين بمواجهة عينه السليمة وأضافت:

«لا تستطيع ان تنكر اطلاقي، اذ انني املك فرص كثيرة لاستعيد ذاكرتي اذا ما ذهبت الى اميركا. لا تستطيع ان تصر على ان ابقى معك عندما لا اعرفك ابداً».

«الوقت يا زوجتي، سيعالج كل هذه القضايا».

كانت لهجة صوته آسرة كوجهه، وشددت الرقعة التي على عينه اليسرى صفة القساوة لديه، ارتعدت ارابيل ولم تستطع الا ان تفكر بما يقع وراء هذه الرقعة وقالت:

«انت... انت تخيفني. بالكاد اتحمل ان انظر اليك، ان تدع الوجه يفكر... بالعيش معك».

«انت مضحكة».

بدت الكلمات وكأنها تريد ان توقظها بلسعة وأضاف الدون:

«انت لست طفلة يا ارابيل، انت امرأة شابة ويجب عليك ان تواجهي مستقبلك بمسؤولية. انت تدينين لي من انك لست في سجن قذر وتحت رحمة اشخاص كانوا قادرين على اخذك لعدة اسباب تتعلق بالثورة وبهؤلاء الأولاد. ويستعملون على جسدك كافة انواع آلات التعذيب والقتل. لقد خبأت هؤلاء الأولاد الم تفعلي؟ ولدين غبيين سببا خسارة كبيرة باشعال مصنع التكرير هذا. سكت الدون كوتيز للحظات يسمح للكلمات ان تأخذ مجراها الى عقلها وبدا لارابيل ان وجهه كان متوحشاً في هذه اللحظات، وكأنه يريد ان يعرف لماذا قدمت لهؤلاء الأولاد مأوى لهم.

«هل هم اميركيين مثلي؟».

«يبدو انه واحداً منهم كان يدرس في أميركا قبل ان يعود الى فنزويلا ليتابع دراسته في جامعة لاتينية. اما الولد الآخر فكان من ابناء البلد... ليس لديك ان تذكر لأي واحد منهم اليس كذلك؟».

«ولا واحد».

هزت رأسها الذي بدأ يؤلمها، هذا الاسباني لا يريد ان يحررها من الزواج، وشعرت الآن بأنها منهوكة القوى وغير قادرة على الرد عليه، في اللحظة التي كان قادراً بها على التحكم بالوضع لم تفعل سوى ان تخضع له، وتأمل ان تجد فيما بعد احدى الوسائل للهرب منه وقالت ارابيل:

«اذا كنت محضراً الآن تقيم مع زوجة لا تعرفك، او حتى تحبك فهذه تكون مشكلتك دون كورتيز. لقد لاحظت بأنه علي ان اذهب الى مكان ما، عندما طردوني من المستشفى، ولذا اعتقد ان المكان كان سان دي ڤيلا».

وبينما كانت تتكلم شعرت ارابيل بتحرك الرجل... اوه لا، فكرت بسرعة لا تدعه يقبلني... لا تدعه ولكنه توقف على قدميه وامال برأسه وقال:

«الى اللقاء الآن».

قال ذلك وكان هناك شيئاً من عزة نفسه جعلها تفكر بفارس شهم يأرجح عباءته فوق كتفيه.

«لك وقتك لتتذكري اذا كنت تكرهينني... ام تحبينني».

«ابداً» كانت الصرخة صامتة وسريعة كما السكين التي تخترق اعصابها. وشعرت بأنه لا يمكن ان يكون هناك اي نوع من الحب بينهم... الحب كان اتصال دافيء وعاطفي للروح، كتلة من الأحاسيس، خفقة لقلب يكره الوحدة.

كل ما شرعته كان شيئاً بادراً. وبالتأكيد فهو شيء ميت، وهي بالتأكيد رفضت هذا الرجل الذي ربط نفسه بها فيما بعد بعلاقة لا تمت للحب بصلة. لم يكن هناك اي استسلام ارادي منها، كانت ارادته قوية جداً عليها في ذلك المكان المخيف وكانت لديه طريقته لأنها كانت في وضع صعب جداً.

«الى اللقاء يا عزيزتي».

بهذه الكلمات ذهب واصبحت ارابيل وحيدة مع خيوط الشمس، دقات الساعة، وصدى صوته العميق يناديها بيا عزيزتي بلغة اسبانية.

الفصل الثالث

كانت السيارة الكبيرة الفخمة تشق طريقها بسرعة، تعبر كل هذه المناظر الاسبانية التقليدية وتتمكن ارابيل من ان تنظر اليها وتتمتع بمشاهدتها. جلس الدون كورتيز مبتعداً قليلاً عنها على المقعد الخلفي بينما كان هناك زجاج فاصل بينهم وبين السائق الذي يعمل لدى الدون. شاب اسباني ذو مظهر جذاب تمعن في ارابيل عندما صعدت السيارة مغادرة المستشفى.

«قم بالتدخين اذا ما احببت، سنيور».

قالتها فجأة وكان صبرها بدأ ينفذ، وكانت تشعر بأنه كان مسيطراً على هذه النقطة لأنها غادرت المستشفى لتوها.

«انا فعلاً لا اتضايق من رائحة الدخان».

«وكيف عرفت انني ادخن السيكار».

«انا... حسناً، كما تعرف انت؟ انت تبدو اسبانياً اصيلاً، وانت تشارك اصدقائك في حياتك الرغيدة، انظر الى سيارتك، وسائقك، والى هذا الثوب الغالي الذي احضرته لي».

«انت لي، لكي ترتدي الملابس، الست كذلك؟».

سحب محفظة جلدية من جيبه من بنطاله وفتحها، وكانت

www.elromancia.com

تحتوي على عدة انواع من السيكار الطويل. وبينما اخذ نفساً منها، ملأت رائحة السيكار السيارة. هل كانت هذه الرائحة مألوفة لديها ام انها من الخيال؟.

عبرت السيارة من امام كنيسة من الحجر الرملي ظهرت فوق البيوت البدائية البسيطة لهذه القرية الضائعة في الزمن.

«الزوكالو... كان يجب علينا ان نتزوج في واحدة مثلها، وعلي ان احصل على مباركة زواجنا».

شعرت برنة الخوف في صوتها وأدركت ان املها السري قد ابتعد عنها واملت ان يذعن لها ولا يصر على بقاءها متزوجة منه.

«انا اميركية، وبالكاد احب ان اكون مربوطة مصيرياً بك».

«كما اخبرتك سابقاً، ارابيل، لقد تزوجنا حسب قانوني انا. انت مربوطة بي وسوف تعيشين معي بكل ما للكلمة من معنى، انا لا انوي ان اكون غبياً يحتفظ بامرأة في منزله للزينة والدلال فقط. بدون شك ان اقتراحاً كهذا سوف يرضيك وكان سيرضيني اذا ما كان لديك شعر اشعث، اسنان ملتوية وجلد ملوث».

حرك شفتيه باستهزاء بينما كان يقيس صورتها وقال:

«في وقت مضى كان هناك امرأة عجوز متعلقة بمشاهدة المصارعة، وكنت انا سأصارع ولأن معظم المصارعين كانوا يعتقدون بالخرافات، فأنا لم ابعدها عندما سألتني لتتنبأ لي بمستقبلي، اخذت يدي ودرست الخطوط في داخل كفي ولقد اعطيتها نقود قليلة لتكون سعيدة، ولكنها قالت عدة اشياء فضولية والتي في ذلك الوقت ابتسمت لذكرها، لقد قالت بأنني يمكن ان افقد عدة اشياء ثمينة وربما استعيد فقط شيء واحد من هذه الأشياء خلال حياتي، وبعد عدة ايام في تلاثيدا حصل معي ذلك العراك ولقد فقدت عيني وانسحبت من المصارعة. ولقد قمت برحلة لكي اتعافى... حسناً، دعينا نقول، ان متعتي في نظرة امرأة».

توقف الدون وامتزج دخان سيجاره بوجهه الداكن، القوي كما

الأحجار المنحوتة.

«لا تستطيعين ان تتصوري، ما هي المتعة التي انالها عندما انظر اليك».

«وانت لا تستطيع ان تتصور ما اشعر عندما انظر اليك».

خرجت الكلمات من فم ارابيل بسرعة، وكأنها رمت حجارة حادة في وجهه. لم يتغير تعبير وجهه، كان كالصخر ولم يبدو ان كلماتها قد اثرت فيه. حرك الدون كتفيه ليسمح لرماد سيجاره ان يتساقط على ارض السيارة.

«ان رعشة الزفاف هي ردة الفعل الطبيعية. وخصوصاً لامرأة بريئة».

«وكيف تكون متأكداً جداً بانني امرأة طاهرة. دون كورتيز؟».

لمعت عيناها بنظرة تحدي بمواجهة عينا الدون وأضافت:

«لا تنسى انني اخفيت اثنان من الشباب الصغار في شقتي... ماذا لو كان احدهما حبيبي؟».

«عندها سيكون هذا سيء بالنسبة لك... لقد قرأت عن اوتيلو اليس كذلك؟ ان عقلك يخترع الحيل ويلعب بها ويدعك تتذكرين هكذا اشياء، انا أرى بأن ذكر اسم مور الغيور يقرع الأجراس، هل تتذكرين زوجته ديسدامونا، والتي اختنقت بعد مدة لأنه صدق اقوالها. وانت يا عزيزتي لك رقبة نحيلة ورقيقة ولدي في عروقي دم مور... وكما يفعل العديد من الأشخاص الذين يعيشون في هذا الاقليم من اسبانيا، انا اثق واجعل نفسي واضحاً».

«اكثر من واضح سنيور».

نظرت اليه بعينين فضوليتين وأضافت:

«ربما تفعل ذلك، اليس كذلك واي عمل قمت به سابقاً يعد شائناً بحق زوجتك، الا اذا قمت بسن قوانين خاصة بك».

«ربما افعل ارابيل».

«كم انت قاسي سنيور! لقد قلت بأنني تربيت في ميتم في اميركا وليس في دير في اسبانيا حيث المراقبة على الذين يسكنونه

تكون شديدة. اذا ما كان لديك خطيبة من احد الأديرة فهنا يصبح من المعقول ان تفترض بأنها طاهرة، وكيف يمكن لك ان تتأكد من انك تزوجت امرأة بريئة؟ واذا لم تكن، فهل اتوقع حقاً بأن أموت خنقاً بواسطة يديك القويتين؟».

حدق الدون في واحدة من يديه بينما انتهت من كلامها كانت يديه، نحيفة داكنة وبدون شك بارعة في تحريك الستارة والسيف. وللحظة تخيلته وهو في الحلبة، صورة نحيلة ووحيدة بينما هو يواجه الثور في العرض الأخير للعراك. وسوف يصمت الجمهور بينما هو يواجه تعويذة القضاء المهيبة، وهذه تكون لحظة الحقيقة، ان يقتل او يموت، رجل ضد قوة بدائية، ضد عضلات قاسية، وشجاعته بمواجهة الموت. تحرك عصب في حنجرة ارابيل... وعرفت في تلك اللحظة وبأنه يوجد تحت قميصه الجذاب وبنطاله الداكن، دون كورتيز يحمل عدة جروح في جسده، وان حياته عاشت مخاطرة مع الخمرة والنساء. وكان لديه اسم يدافع عنه الرجال في الخمارات بواسطة سكاكينهم... وشعرت بعينه السليمة تقيس وجهها، لمس يدها واحست بجلدها يحترق من جراء لمسته وقال الدون:

«كوني لست قديساً فلماذا علي ان اتوقع منك ان تكوني ملاكاً؟»، قال ذلك وهو يحرك شفتيه بسخرية ويضيف:

«معظم ايامي عرفت فقط النساء اللواتي يصنعن ابطال وآلهة المصارعة، فهل من المستغرب ان اختار زوجتي امرأة فاضلة وطاهرة؟».

«كيف باستطاعتنا كلينا ان نكون اكيدين بأن لدي الفضيلة لأقدمها لك؟ لا استطيع ان اتذكر اي نوع من الأشخاص كنت، وانت تعاملني وكأنني برهنت يوماً انني... مخيبة للآمال».

هز كتفيه وقال:

«دعينا لا نرمي الحجارة في طقس جاف وحار كهذا... واظنني اعرف النساء جيداً لأحكم على شخصيتك الخلقية».

«عدة نساء سنيور؟».

لم تكن ارابيل فضولية بل ساخرة.

«ما يكفي».

وهز كتفيه ثانية ومج من سيكاره مدة طويلة وأضاف:

«هل كنت تتوقعين زوجاً ناسكاً؟».

«لم اتوقع زوج اطلاقاً، ابداً، وانا بالكاد توقعت مصارع ثيران ان يعيش كناسك، وليس مع موت يحدق به كل يوم من ايامه... يا لها من صدمة ان تستحق حياتك! الم يكن هناك اي شيء آخر لتفعله؟».

«في اسبانيا، الطريقة الأسرع هي ان يصبح الانسان مصارعاً ذو سمعة حميدة، وهذا ما اصبحته، ولكن انتهى ذلك في تلافيدا كما اخبرتك هذا الجزء من حياتي انتهى، لذا لا تتوقعين ان ارجع يوماً الى البيت ملطخاً بالدماء، انه انتهى! والآن انا اهتم بأرضي، وهناك ستكونين السيدة، يجب ان تقري بذلك؟».

«انه لشرف عظيم».

انتفضت ارابيل فجأة بينما كانت يداه تشدان على يديها وشعرت وكأن يدها وضعت في الخطيئة نفسها وكادت ان تتحطم.

«آه، يا الهي... انت متوحش».

«ربما انا كل الصفات التي لا تريدينها في الرجل الذي سيعيش معك وتعيشين معه بقية عمرك».

قال ذلك وهو يرخي اصابعها عن عظامها المتقوسة ويضيف:

«ولكن القدر يلعب لعبته في حياتنا جميعاً سواء اردتني ام لا... فأنا لك. عضت ارابيل على شفتيها بينما كانت عينه المطعمة بالذهب تغوص في استكشاف اسرارها. وشعرت وأن نسراً سحبها من مكان غير معروف وجرها الى عالمه المتوحش. الى هناك لتشاركه عشه. اذا فقد كان الدون ولداً فقيراً واستغرق سنوات ليصبح غنياً، وكان عليها ان تعترف بأن قميصه الحريري الغالي الثمن يتناسب واكتافه القوية، بياضه الناصع في مواجهة

جلده الأسمر الطبيعي. وتركزت عيناها على حنجرته ولمحت لمعان السلسلة والتي ربما تحمل ميدالية محفورة. ربما كان يؤمن بتحايله القاسي الذي يحمله معه الى الحلبة. وكانت احدى المناجاة الذي كان يحملها معه دائماً كمصارع ثيران. شعرت ارابيل في عظامها الى الحلبة بالتعب وبأنها لا تستطيع ان تتحمل هذه الهواية، هل كان ما زال يمرن على فنه المميت.

«انت تتصورينني على انني ملاك معذب».

قالها في هزء وأضاف:

«هل تشعرين بالجوع؟ انا لا اشك بأنك تناولت عشاء عصفور».

«جائعة؟».

بللت ارابيل شفتيها بطرف لسانها وقالت:

«لاخبرك الحقيقة سنيور، احس بأنني عطشى كثيراً».

سوف نعالج هذا حالاً».

انحنى للأمام وطرق على الزجاج الفاصل بينهم وبين السائق وقال له:

«ماتيو، ارجو ان توقف السيارة للحظات قليلة، بينما تحضر لنا سلة الطعام من الصندوق، سنأخذ انا والسنيورة بعض المقبلات».

«نعم، سنيور».

ابطأت السيارة قبل ان تتوقف، وراقبت ارابيل الرجل الشاب في الزي البيج يدور الى خلف السيارة ويأخذ من الصندوق سلة جميلة. حملها بين يديه الى السيارة ومرة ثانية كانت ارابيل واعية لعينيه يراقبها. وهكذا فان الأفراد الذين يعملون لدى الدون كانوا يثيمونها، ويدركون الحقيقة في انها ليست اسبانية ويقارنونها بالمرأة المرحة التي عرفها سيدهم في الماضي... والتي ربما ما زال يعرفها، وهناك هناك امل كبير في احتفاظ رجل بمركزه وعمره بعشيقة سرية.

«شكراً».

حلّ الدون كورتيز الشريط الذي كان يحك السلة مغلقة، وأخذ منها زجاجة عصير وعلبة من السندويشات، التي سلمها الى سائقه.

«خذ غذاءك ماتيو، ولكن اولاً جد لنا مكان اكثر ظلاً للسيارة».

وبعد عدة لحظات كانوا يقفون تحت ظل حائط والذي يسند جذوع اشجار النخيل المتعددة. وفوق الحجارة المحطمة امتدت دالية غريبة الشكل ذات اوراق برتقالية فاتحة.

«قم!» قالت بجدية.

«مع الخمرة وعصافير مشوية في ظل شجرة نخيل فأنت تقدمين لزوجك بعض المتعة الست كذلك؟ هل انا فقط بنظرك قرصان ـ ووحش لأنني اضع هذه الرقعة على عيني».

امسكت يداها بكأس الشراب بشدة وقالت:

«ان مازلت تتظاهر بأن كل شيء يسير طبيعياً، ولكن بالنسبة لي فكل هذا مثل الحلم غريب لا استطيع الاستفاظ منه، فقط لو كان بمقدوري ان اثق بك».

«ما زال لديك بعض الشكوك تجاهي؟».

ضغط بالفوطة على فمه وحدق فيها وهي تقول:

«نعم، اشعر بأنك تخفي شيئاً ممكن ان يزيل الغيوم التي تغلف عقلي. انا... انا لدي شعور بأنك تريد ان ابقى هكذا، فالوضع يناسبك تماماً».

«أوه، ولماذا يناسبني؟».

كان صوته ناعماً كالمخمل ولكن حاجباه تقوسا في اشارة تشير الى عصبيته.

«لأنني عندما سأتذكر فانني سأكتشف بالتأكيد لماذا علي ان اكون زوجتك».

«شكراً، يا عزيزتي. هذه جوهرة مديح اخرى من فتاة مولعة وممنونة... لماذا اعذب نفسي واتحمل، بينما كان باستطاعتي ان انتقي فتاة اندلسية ستكون سعيدة كثيراً بأن تشاركني حياتي

وبيتي».

«انني اشاركك عواطفك، دون كورتيز، ولماذا تتحملني وانا سمكة باردة غريبة».

«آه، سمكة باردة تسبح في المياه التي تسبح فيها اسماك القرش ويجب ان تخرج قبل ان يقوموا بأذيتها، من اجل ذلك على الأقل يجب ان تكوني ممتنة. فأنت لن تحبي تأثير الشريط الكهربائي اذا ما سرى بجسدك».

«لا، لقد كان من صالحك ان تتنشلني من هذا كله. الم يكن باستطاعتك ان تذهب الى القنصلية الأميركية وتخبرهم بأنني اعتقلت؟».

«كل هذا كان من الممكن ان يأخذ وقت، ان لدي اعتبار معين في فنزويلا وانا استعملته من اجلك، ولقد تزوجت وانا عاشق ومنذهل في نفس الوقت».

ارتجف قلبها عندما سمعت كلاماته الأخيرة وسألته:

«وماذا حصل بالنسبة للولدين، سنيور؟ الم تستطع ان تفعل شيئاً لمساعدتهما؟».

«لم يكونا ضمن اهتماماتي، فأنا اذا ما تدخلت من اجلهم لكنت فقدت الأمل في انقاذك من قضبان السجن. هؤلاء الأغبياء سببوا حريقاً جدياً وعرضوا حياة الأشخاص الذين يعملون في المصنع الى الخطر، ان الرجل الحكيم يستعمل عقله وليس عاطفته.

حسناً... ها نحن هنا.

ارتشفت ارابيل مشروبها ولم يكن لديها شهية كبيرة للطعام وأضافت:

«شخصان يواجهان الحياة وبالكاد تربطهم عاطفة سوياً، انا اكيدة تماماً انني لم اكن لأتزوج ابداً مصارع ثيران بارادتي».

«لقد اخبرتك ارابيل، بأنني لم اعد مصارع، انني املك اراضي وأربي ماشية وهذا ما ستفكرين به تجاهي كسيد لسان دي

ڤيلا. وسوف تلغين من عقلك تماماً ان لدي اي مهنة اخرى».

«هل ستصر على ان اكون زوجتك بكل ما للكلمة من معنى».

«انت انثى بالغة» ثم اضاف.

«انت تعرفين كما اعرف انا، اننا لا نستطيع ان نعيش في تقارب وفي نفس المنزل دون ان ندرك احدنا الآخر. ان عليَّ ان اجعلك تعيشين في القسم الأخر من سان دي ڤيلا، ولكن لا انوي ان افعل ذلك. انت لا تعرفين الاندلسيين وكم هو ذو فطرة تجاه فضولهم عن احتفالات الزواج الحديثة. و انا لدي مجموعة كبيرة من الخدم في البيت، دون ذكر الأقارب الذين يسكنون في الاقليم. ولا انوي ابداً ان اسمع رأياً بغير رضاي».

«انا اكيدة».

ضحكت ضحكة عصبية مفاجئة وأضافت:

«لا يوجد شخص قادر على اجبارك على شيء».

«تماماً، ولا انوي ابداً ان اضع النار على الزيت».

«ان العناية في المنزل باسبانيا هي مهمة ولها تأثيرها اكثر مما عندكم في اميركا سوف يتوقع منك ان تشاهدي في السرير، كما سيتوقع مني ان اتجول بين غرفتينا، وكذلك الحمام سيكون مشتركاً... هل تعتقدين بجدية ارابيل، انني استطيع ان اراك في مظهر مغري ولا اتصرف بالطريقة التي اوجدتها الطبيعة في اعماقي؟ الحجر كما تسميني انت، ولكنني لست مصنوعاً منه... وانت كذلك لست تمثالاً».

«ماذا تعني بذلك؟».

حدقت فيه وشعرت بأعصابها تنتفض ودمها يغلي.

«انت من لحم ودم وذات دم حار، ودعيني اثبت ذلك».

وبينما يتكلم سحب اصابعه باتجاه يدها اليسرى، تنهدت قليلاً، لأن لمسته كانت معروفة، مثل اصابع عازف الغيتار ذو نغمة رقيقة.

«لا تلمسني».

سحبت يدها بعيداً عنه ولم يحاول ان يمنعها، ابتسم ببطء، رجل يعرف النساء كما هي تعرف الفراغ عندما تقترب منه. اذا ما كانت براءتها، وحتى ردة فعلها الخجولة على لمسته، دليل حقيقي انها لم تعرف ابداً ما هو الحب وما يتبعه، كانت... طاهرة. ومن الطراز القديم، ولكنها شعرت بالضياع. وكان هناك نظرة في وجه الدون رددت صدى ادراكها، كانت له، له ليأخذها ويعلمها، ويعيش معها.

«هل انت دائماً تجد طريقك؟».

سألته وهي تصرخ في وجهه.

«عندما يكون ذلك ممكناً، سوف تقاومينني، بالطبع ولكن ذلك متوقع منك».

«انت لن توفرني على الأطلاق، اليس كذلك؟ ولا حتى اذا ما طلبت منك ان تعطيني الوقت لاتعود عليك وعلى طريقة حياتك؟ سوف يكون شيئاً لطيفاً، وفي كل الأحوال انت تحب ان تكون دون حقيقي».

«صحيح، لأن هناك الكثير من الأشياء التي نستطيع شراءها بالمال، ولكنني لم اولد نبيلاً يا عزيزتي، لذا لا تحاولي ان تتوسلي للغرائز التي ربما لا املكها. لقد تشردت في الأزقة الخلفية لسفيل، ولقد تلقيت تعليمي وراء الجدران الخلفية لحلبة المصارعة وفي الخلوات الكثيفة بالدخان حيث ترقص الغجريات رقصة الفلامنغو حتى الصباح. امي كانت راقصة ولم اعرف ابي، وكانت تقسم دائماً بأنه كان يزورها قليلاً ولقد اعجب بوجهها كثيراً. افترض بأنها كانت جميلة عندما كانت شابة، ولكنني لا اتذكرها سوى كامرأة ذات شعر اسود، غير مرتبة وكانت تتعلق بالرجال الذين كانوا يترددون على البار حيث كانت ترقص. ماتت عندما كنت في الثانية عشرة بطعنة سكين في مكان مظلم، وبعدها اصبحت شخص يركض في الحلبات ثم اصبحت مصارع صغير والذي عرف حياة المصارعة عن ظهر قلب. لقد عرفت الوساخة،

الجوع، الألم والمتعة في سن حيث اولاد الدون ما زالوا مرفهين ومعلمين من قبل الوصي عليهم. ولقد تلقيت اول طعنة لي وانا في الخامسة عشرة وشفيت منها وانا في احد الملاهي الخاصة».

مال برأسه الى ناحية عينا ارابيل وقال:

«هذا هو تاريخي وانا شاب وهو لك لتعرفيه. لذا لا تتكلمي ثانية عن الترجي لغرائزي النبيلة لأنني املك القليل منها».

حدقت ارابيل فيه، ولم تصدم بما قاله لها عن نفسه، لقد كان في وجهه المعاني ما يدل على انه عرف حياة لم تكن دائماً حنونة وكريمة. لقد عاش وتعلم واصبحت ثرياً وكل ذلك محفوف بالخطر، وهي لم تدينه لأي شيء من ذلك، ولكن على اصراره لأن تعيش معه وكأنها تحبه.

«هل يجب عليك ان تعامل كل النساء بقساوة سنيور، لأن والدتك لم تعطك سوى القليل من الحب».

«انت تعتقدين انها لم تهتم بي؟».

لمست ابتسامة شفتيه واضاف:

«لقد فعلت ولكن بدون اهتمام، و انا اؤكد لك انني لم اكن فظاً مع النساء على طول مراحل حياتي. بل على العكس، لقد عرفت واحدة او اثنتين فقط نشرتا النور علي عندما خرجت من صخب المصارعة».

«ولكنك غير متزوج لماذا؟».

«عندما يكون هناك العديد من النكهات فهو يختار التي تطيب له».

«انا؟».

حدقت الى وجهه في عينان غير اكيدتين، وقال:

«الرقة هي للأشخاص الكبار. اذا ما اكدت كل ذلك ارابيل، فاننا سوف نواصل رحلتنا».

التقط كؤوس الشراب واشار الى السائق بأن الغداء قد انتهى: وبينما بدأت السيارة في الدوران لم يصدر اي صوت يذكر من

محركها، واعاد الدون حزم السلة ووضعها الى جانبه. وجلس واصابعه النحيلة تمسك بسيكار فاخر.

«هل نحن سنكون قريباً... هناك؟».

سألته وكان مستحيلاً عليها ان تخفي رنة العصبية في صوتها.

حدق من النافذة وقال:

«في حوالي نصف ساعة سنكون في المنزل».

قال ذلك، واسنانه تمسك بالسيكار الهافاني الصنع وأضاف:

«ذلك ما ستفكرينه في سان دي ڤيلا، وليس كنوع من السجن حيث انا اخطط ان اذيقك العذاب. انوي ان اعيش كما الرجال الآخرين، مع امرأة، التي اجدها جذابة والتي سوف تعطيني يوماً ما طفلاً أو طفلين».

امسكت ارابيل انفاسها من شدة التأثير، لقد قال ذلك وكأن ذلك تحصيل حاصل وكأنها لا تريد من فقدانها للذاكرة ان يحول بينه وبين تحقيق ما يريد. الى الجحيم هي وعقلها، هذا كان موقفه. لقد كان لها وجه وجسد يجذبه وهذا هو كل ما يهم.

«انت قاسي كالمسمار».

قالت ذلك وهو ينفث سيجاره وأضاف:

«فوق كل ذلك أنا زوجك».

«ز... زوج لا يهتم في مشاعر زوجته».

«انت لست مريضة في جسدك، ارابيل، ولا في عقلك، لقد نسيت جزء من حياتك الماضية هذا كل شيء. وأنا لا انوي ان اغذي فيك فكرة انك هشة جداً لكي يلمسك احد. انا اعرف ما هو مختلف تماماً».

«انت تعرف... ماذا؟».

نظرت اليه نظرة غضب وقالت:

«انت تثير الشكوك ولا تخبرني حقيقة ماذا تعرف عني. اين تعارفنا قبل ان يحصل هذا لي؟ هل قابلتك».

«لقد التقينا».

هز كتفيه وبدا متقلب، قاسي».

«هل كنا... اصدقاء؟».

كان قلبها يدق في جنبها كطبلة وقال الدون:

«لا».

«قال ذلك وبدأ يدرس الرماد الذي بدأ ينتشر على طرف سيجاره وبعد ذلك رماه من الشباك وقال:

«لا تستطيعين ان تسمينا اصدقاء».

وهكذا فأنا لم احبك عندما عرفتك... من قبل؟»

«بالكاد استطيع القول انك احببتني».

اكتسى وجهه بالغموض بينما كان يحدق فيها، وجعلته الرفعة خطيراً واضاف:

«بأي حال، ان يحب الانسان فمعنى ذلك حالة عملية فاترة... ولا يوجد اي عاطفة فيها».

«ولكن هناك عاطفة في كونك مكروهاً؟».

قالت ذلك ونفسها مقطوع وشعرت بأنها مقتنعة انها تكرهه، المصارع النحيل الذي لطخت يداه بالدم».

«كما في كونك محبوباً، وكما حزرت، انا لست رجل لمنتصف الطريق وربما تحبينني او تكرهينني، ارابيل ولكن لا تزعجيني بأي عواطف غير ثابتة».

«الا يقلقك ذلك، دون كورتيز، ان تذهب الى البيت برفقة زوجة لا تحبك؟».

«وهل ابدو قلقاً؟».

قال ذلك بسخرية، ومر بعينيه فوق صورتها الرقيقة في القماش الشفاف.

«هنا في الجنوب نقول عن الفتاة الانيقة بأنها تشبه رائحة القرفة، نكهة الليمون والتين على الاوراق الخضراء. انت تنتمين اليّ وهذا كل ما اهتم له، والآن هي اللحظة التي سأعيد لك فيها شيء ما ارجعته لي انت».

www.elromancia.com

مال الى الامام قليلاً حيث كانت جاكتته ملقاة واخذ شيء من جيب قميصه كان يصدر صوتاً كالطقطقة وهو يفتح علبة مجوهرات، لمعان الجواهر. مدّ يده إلى رسغها الايمن ولم تستطع ارابيل ان تسحب نفسها بعيداً عنه. وبشيء من السحر راقبته، السيجار بين اسنانه، اصابع نحيلة تلف على معصمها سوار من السلاسل ومن احجار الياقوت الازرق التي لمعت في مواجهة جلدها كما السماء الزرقاء. رفع رسغها وابتسم بتهكم وقال.

«شيء جميل، عيون ارابيل بمواجهة سلاسل الذهب».

«لا تفعل».

ارتعشت ارابيل من جراء وصفه، للهدية، ولملاحظته بأن هذا السوار يعود اليها. اذاً عندما قابلها للمرة الاولى بدون شك عن طريق الرجل الذي تعمل عنده. لقد قدم لها هذه القطعة الثمينة من المجوهرات ورفضت ان تقبلها، والآن هو يصر لانها لم تعد سكرتيرة لرجل آخر، فتاة مستقلة تعمل من اجل حياتها والتي لها الحق ان ترفض ما يقدمه لها. كانت تشعر بقبضته فوق عظام معصمها وعرفت بأن له القوة والقدرة لتحطيم عظامها اذا ما اراد.

«انا لا اطلب منك ان تشكريني عليها يا عزيزتي، ولكن الآن سوف تضعينها وتعجبين بها، هل تسمعينني؟».

«نعم! ولماذا قدمتها لي في المرة الاولى؟ لأنك املت ان تشتريني كما اشتريت عدة نساء اخريات؟».

كانت عيناها تحترق في هذه اللحظة بزرقتها كما الجواهر وسمعته يمسك بأنفاسه فجأة ورأت حنجرته تتحرك.

«انت لم تكوني للشراء ابداً لم احاول ابداً... دعينا نقول بأنني رأيت زوج من العينان الزرقاوين وفكرت بأن اقدم لهم عرضاً، ودعيني اقول بأن الجمال هو كالمجوهرات تماماً، ولكنهما لا تشبهان ما وضعته الطبيعة في وجهك.

بهذه الكلمات رفع يدها إلى شفتيه، شعرت بدفئهم ورقتهم

على جلدها، وامتد الى مفاصل يديها حتى راحة كفها، حيث بقيا صامتين للحظات.

في تلك اللحظة بدا رأسه وكأنه يسبح وبدأت ركبتاها تسترخيان... لقد قام في تقبيله لراحة كفها بأظهار مودته بعد وصفه... وكأن شفتيه كانت تخبرانها بصمت بأنه سوف يقبلها في اجزاء اخرى من جسدها.

جاهدت كي لا تبعد يدها عنه، احتملت ما يقوم به، ما يقدمه، ما يريده، وكان السوار السلسلة الرمزية لما يملكه.

اسرعت السيارة تحت شمس الظهيرة الحارة وكل منعطف من الطريق كان يقربهم من ممتلكات الدون، حلم شبابه، حيث كان كل ما يملكه اعصابه وطموحه الذي غرس فيه فكرة ان لا يكون فقير او جائع مرة ثانية، وبعد ذلك اصبح لديه اراضي ومنزل وبحث حوله من اجل زوجة لتشاركه هذا كله، ولقد اشبع شهيته بنوع النساء اللواتي كُنّ ترمين بأنفسهن بين ذراعيه، ولقد حاول ان يجرب قدراته على فتاة غير هؤلاء... فقط من اجل المتعة الشيطانية التي فيها... مصارع ثيران متقاعد والذي ما زال يحتاج الى الاثارة في حياته، والى التحدي.

كانت هي تحديه الجديد، وكانت كل الدلائل تشير الى استمتاعه بهذا النوع الجديد من التحدي والمطاردة... وكانت هذه لعبة اكثر دهاء حتى تأتي اللحظة الحاسمة للاثنين.

الفصل الرابع

جلست ارابيل هناك بجانب الدون كورتي في صمت، يرمي رماد سيجاره والذي راح يثير الذكريات والتي اصبحت خانقة منها الآن، في مكان ما وراء فقدانها لذاكرتها يقع السبب الذي يفسر سبب وجودها هنا بقربه... الرعب، الخوف، صرخة انحبست في حنجرتها حيث بدأت تظهر امام سيارة بعض الاعمدة البرجية وزوج من البوابات الحديدية الكبيرة.

فتحت البوابات بصمت وبطريقة اوتوماتيكية بمجرد ظهور السيارة، وادارت ارابيل رأسها لتحدق في البوابات وكأن حريتها فقدتها بعد ان دخلتهم، ورأت رؤوسهم مشغولة بنوع من الابتكار... رأس ثور يرتاح على نصل السيف، مع قبضة من الحديد.

«كما هو مناسب».

خرجت الكلمات من فمها من غير وعي.

«بالحقيقة...».

قال ذلك، وبدون ان تنظر اليه ارابيل شعرت بأن شفتيه كانت تضحك ضحكة تهكمية حيث اضاف.

«شعار منزل الدي فونزو دي لا دورا».

«هل الاسم الكبير هو مضاف».

«جزء منه».

اعترف بذلك وهو يهز كتفيه واضاف.

«امي من قبيلة الدي فونزو الغجرية، لذا انا القب ايضاً بذلك، على الاقل».

سارت سيارته على طريق واسعة حيث انتشرت الحقول على الجانبين، ورأت ارابيل ثيران سان دي فيلا تتجمع مجموعات، وتبدو مثل حيوانات ميتراس الكبيرة القوية والقاسية، وهادئة وهي تحت اشعة الشمس.

كان من الغريب ان الدون كورتيز يحاول ان يبعد ثيرانه عن قدرهم في ان يموتوا داخل الحلبة، ولم تعتقد بأن لديه عاطفة قوية او احساس في عظامه القاسية. بالرغم من انه تعلم على مر السنين ان يحترم ويعجب بالشجاعة التي يتمتع بها هذا الحيوان على مر الانسانية.

كانت يدا ارابيل مضمومتين، وكأنها كانت تصلي وكانت الشمس تسطع فوق احجار خواتمها وسوارها، ولمست اصابعه يدها وكانت اعصابها تثور من جراء لمسته حيث قال.

«الآن نحن نقترب من البيت حيث كل حجر ودعامة فيه تخصني».

كانت الطريق فسيحة حيث بدت قناطر حجرية مطعمة بالقرميد القديم والذي بدا وكأنه يجمع الشمس والسماء وضوء القمر على سطحه، وتقدموا الى ساحة كبيرة حيث اصطف عدد كبير من الزهور حيث كان هناك ايضاً ازهار تنتشر فوق الجدران البيضاء، وكانت قبائل المور هي التي شيدت هذه الجدران لتمنع الغزاة من الدخول... وليبقوا نسائهم داخل القصور.

دارت السيارة حول نافورة مياه رئيسية من الحجر الاسمر، وكان في وسطها حوض كبير مملوء ببراعم ازهار الزنبق ورفرفة اذيال

الاسماك الذهبية.

وكان يظلل نافورة المياه شجرة ضخمة، عملاق ضخم حيث اوراقها تحمل زهر صغير على اطرافها.

امسكت ارابيل انفاسها من شدة دهشتها، وبعد ذلك سمعت نفس الدون يهمهم بالقرب من اذنيها ويقول.

«هذه حديقتنا ذات الاجراس الذهبية... في الليالي حين يكون القمر كاملاً وظاهراً ربما تسمعين موسيقى خافتة وربما تتسائلين قليلاً عن سحر الحياة.

«اذا ما سمع الواحد الموسيقى هنا... فهي ستكون خشخشة الحلقات الذهبية في اقدام فتاة المور المستعبدة، هذا البيت على الطراز الموري، اليس كذلك، سنيور؟».

«في كل تفاصيله».

قال موافقاً واضاف.

«كما هذه الاسماك التي لا تظهر الا كخيال كما اشباح الفتيات الاسيرات».

ضحك بينما كانت السيارة وصلت إلى مكان وقوفها حيث مرت تحت قنطرة تقود إلى المنزل نفسه، فتح السائق الباب الذي بقرب الدون، الذي ترجل بطريقة خاصة والتي يملكها المصارع اذا ما اراد ان يعيش امسك بيد ارابيل وبعد لحظة تردد مدت يدها وسمحت له ان يساعدها على ان تخرج حيث الشمس تنشر ضوءها في فناء الساحة الصامتة.

وقفت هناك مذهولة، غير قادرة على ربط كل هذه الاشياء بالواقع كانت ضائعة في حلم ما وبالتأكيد سوف تستيقظ لتجد الاشياء على حقيقتها. لم يكن من المعقول ان تكون سيدة هذا المكان... وبذهول نظرت حولها، تتنفس رائحة الازهار المتعددة وترى فوقها المكان الرئيسي للقصر وهو نوع من الابراج والقلاع ذات الابراج البيضاء والتي احتوت على العديد من النوافذ.

«هذا ما ندعوه المنزل الاوحد».

قال ذلك الدون كورتيز وهو يحدق في وجهها الذي كان ينظر اليه واضاف.

«قفص جميل لامرأة اليس كذلك؟».

«وهل هنا تخطط لان تضعني؟».

سألته ولم تكن تمزح.

«لا، انوي ان اضعك بمتناول يدي».

قال ذلك بتهكم واضاف.

«لا نستعمل دائماً القصر، لأن درجاته غير آمنة، والمكان بالكاد يضع لمسة من السحر على المبنى الرئيسي، هل ندخل؟ ان الاشخاص الذين يقيموا في المنزل يأخذون قيلولتهم الآن، ولذا سوف تكونين قادرة على التنقل في المنزل على حريتك قبل ان تقابلي العائلة، والتي تأخذ الميريندا في الساعة الرابعة، وهو نوع من الشاي».

«ارى ذلك».

ارتعشت ارابيل بينما كان يذكر عائلته وقالت.

«هل لك العديد من الاقرباء الذين يعيشون هنا معك، سنيور؟».

«عمتي واطفالها، وابن عم يعمل لي، وكذلك صديق او صديقين من الايام الماضية والذين يرغبون في العيش بين الثيران والاحصنة ولا يملكون شيء آخر لفعله في اوقات فراغهم، سوف تعرفين كل شخص قريباً... والآن دعيني اريك بيتك من الداخل».

بيتك، لم تنكر ارابيل بأن لهذا المكان ذو الجدران القديمة جاذبية وغموض يكتنفه، بارغم من انه كان مكان غريب عليها ولسوف تجد صعوبة في ان تفكر به كبيتها، حيث عليها ان تعيش في مودة مع هذا الرجل الذي يسير بجانبها، كان له تأثير يقطع الانفاس عليها، تمشي بجانبه في ظل الاروقة الباردة حيث كان الهواء ينبعث من نبتة على شكل نجوم حيث اوراقها القرمذية كما

دم في مواجهة الجدران البيضاء.

دخلا الى قاعة حيث ارتسمت الظلال على الجدران من جراء القناديل المعلقة بسلاسل، خزائن واسعة من الخشب الاسود والتي ربما نحتت من الاشجار في قطعة كبيرة واحدة ثابتة جداً وباقية على مرّ الزمن كما يبدو، وكراسي طويلة منجدة من الجلد الاسباني بلون الخمرة الداكنة، مرايا ذات اطارات مطلية تعكس الصورة القاتمة للقاعة واثاثها، وكان هناك تماثيل من البرونز والستيل على رؤوس الخزائن. نظرت ارابيل اليها بعينين واسعتين، خائفتين مثل طفلة ضائعة، كان هناك شيء في هذا البيت يدل على الحب المتوحش، اصوات مسكونة دموع حزن كما صرخات الفرح، كان قديماً وظلال الماضي تبدو منه، وكانت جدرانه تأسر طرق مواقف ايام غابرة، بلدها اميركا تبدو بعيدة ملايين الاميال، وحرية المرأة المتحضرة ربما تكون خرافة في هذه الارض ذات الانوار البيضاء والظلال السوداء... ارض الرجال حيث تجري في عروقهم العواطف وثقافة ماضيهم الاسلامي.

قادها الدون كورتيز الى سلالم حلزونية الشكل والتي تقود الى قاعة اخرى حيث بدت جدرانها المنحوتة من الفسيفساء، كما انه يرجع الى احد القصور التي يسكنها قبيلة المور، فتح زوج من الابواب الكبيرة والمصنوعة من خشب الارز، والتي زخرفت بمنحوتات معقدة الاشكال، وبينما خطت ارابيل الى داخل الشقة وشعرت باتحاد الجمال والرغبة الشرقية لأن تغلق الباب على العالم بواسطة نوافذ شبكية من حديد والواح من الخشب الفضي.

اغلقت هذه الابواب ورائها كما بوابات السجن، واستدارت لتنظر الى الدون الذي وقف هناك وكتفيه للالواح التي نحتت من خشب الارز نحيل صورة مصارع ثيران اصيل ويشكل تهديداً واضحاً وخاصة في هذه الرقعة من المخمل الاسود فوق ما سماه بعينه المحطمة، العين الاخرى كانت قاسية وتبدو حيوية في وجهه الداكن الذي ركز نظره عليها بنوع من الانتصار، وكأنه حلم لوقت

طويل ان يرى امراة غريبة في غرفة نومه.

«اوه، انا اوافق تماماً...».

قال ذلك واضاف.

«ان هناك العديد من الكوارث التي تستطيع ان تهزم المرأة، وزواج غير مرغوب ربما يقع في اول اللائحة، واذا ما كنت يا عزيزتي في قفص مطلي بالذهب، فعليك هنا ان تعترفي انه كبير جداً».

اشار الى ابواب حديدية جميلة والتي تقود الى اهم ما في الشقة وقال.

«هذه هي غرفة النوم الرئيسية، وورائها تقع غرفة جلوس لك، غرفة ملابس وحمام، نحن مستقلين... تماماً».

شعرت ارابيل بالبرد فجأة وهي في فستانها الخفيف، وبعدها كان هناك تعبير مريح، وحريص ارتسم على شفتيه، ولأنها تيقظت مما كان يفكر بدأ جلدها يحترق، وحدقت وفكرت بأنها بالنسبة اليه كشيء اصطاده للتو، وهي تبحث عن بعض الوسائل للهرب من هذه الايدي القوية والتي رغبت ان تمتلكها في اي وقت يحس بالرغبة بذلك.

وقع نظرها، كما كان متوقعاً، على السرير الذي نحت فوق واجهته شخص خرافي نصفه حيوان ونصفه انسان، ثم حولت نظرها الى الخزائن الجميلة التي احتلت زاوية الغرفة والمصابيح التي ركزت على قواعد سوداء من العقيق الاصلي، واشتمت بخياشيمها شذا شمع النحل الذي يبدو وكأنه غرس في كل قطعة اثاث.

«حسناً... هل لديك شيء لتقولينه؟».

«يبدو وكأن الانسان ينام هنا في المتحف».

قالت ذلك ولم تجروء ان تتأثر بالغطاء الحريري الجذاب الذي وضع فوق السرير.

«اؤكد لك انني انسان تماماً وانني انوي بحق ان اتشارك بهذه

الغرفة معك، التحدث شخصيا، انني احب هذا، خاصة عندما افكر في طفولتي عندما كنت امضي الليل على كومة تبن في اسطبل احدهم، ان ذلك يصفعني، هل اقول، بأن اشعر بشيء حريري يلامس جلدي في الليل».

شعرت ارابيل بالرهبة تسري في عروقها ونبضها يسرع، لقد اخبرها دون ان يرتب كلماته ان ينام هكذا ويحب هكذا ذلك الجسد القوي، ذو الجروح الظاهرة، وعضلاته القاسية التي زرعتها طبيعته المسيطرة لم يقهره شيء ابداً، وهنا في هذه الغرفة الاسبانية الواسعة، وفي ثوبها الشيفون، شعرت ارابيل بأنها بدون قدرة على الدفاع عندما تواجه هذا المصارع في ممتلكاته.

«هل هناك فضيلة فعلاً في المقاومة؟».

سألها الدون كورتيز، وبدا صوته ناعماً ومهدداً واضاف.

«هل المرأة تصارع ضد الرجل... ام نفسها؟».

في هكذا قتال فهنا رجل ضد رجل».

«وذلك في رأيك شيء متحضر».

قال ذلك بهزء واضاف.

«انه يبدو لي بعيداً عن البدائية يا عزيزتي، ان تدمي انف انسان وربما تحطمين كبرياءه بواسطة قفاز جلدي، ان الثور المصارع هو مخلوق ذو قوة كبيرة وجسد ضخم ولا يخاف وفي وقتها هو ذو تحدي رائع».

«انت تعني بأنه رمز جنسي قوي والذي يفترض بالانسان ان يقتله لأنه لا يضاهيه».

رفعت ارابيل ذقنها وشعرت بالحرارة في وجهها وقال الدون.

«اذن انت تعترفين بالرمزية الجنسية، اليس كذلك؟ وهل تقرين بقوة الانسان والوحش؟».

«الانسان الوثني يعجز امام الثور، هل ذلك يعتبر جميلاً؟».

بدأ يقترب منها ببطء وبنظرة ماكرة وكأن الغرفة اصبحت بالنسبة اليه حلبة مصارعة، وهي الهدف بالنسبة اليه لكي تتعذب بوحشية

من اجل المتعة، بدلا من متعة الجمهور.

ابتعدت ارابيل عنه، ولهثت بينما شعرت بحد السرير يضرب بمؤخرة قدميها، فجأة كل شيء اصبح خطيراً، ولم يعد هناك طريق للهروب من هذا الرجل الذي لا يهاب الثيران، وحركت احدى يديها وكأنها تدافع عن نفسها، وتأججت السلسلة ذات الاحجار الزرقاء على جلد والتي تلائمت مع لون عينيها.

«ماذا ستفعل؟».

ربما كان هذا اسخف سؤال وجهته له حيث حرك رأسه الى الوراء وضحك ووصل اليها وسحبها بقساوة باتجاهه وامسك بها حيث بدأت تشعر بكل خط وعضلة في جسده.

«الدورادو خاصتي، لي... كيف تعرفين طريقة تفكيري في هذه اللحظة، ان اضم زوجتي بين ذراعي في منزلي الخاص؟ نظيفة جميلة، كما الزهرة الندية دون اي وعي بالقذارة والالم الذي يتربص في الزوايا المظلمة من هذه الحياة، كيف استطيع في هذه الارض ان اتركك لتصبحي وسخة وضعيفة في سجن غريب؟ كأي شيء كان سيصبح الاسوء، السعر الذي ربما عليّ دفعه... حتى كراهيتك لي يا عزيزتي، حتى هذه، اي شيء سيكون بالطبع سيئاً كالسعر الذي اطلب منك ان تدفعيه؟».

كانت ذراعه تمسك بيدها كما الحديد الكثيف، ويضغط على ذراعها لتعرف فقط انه قادر على تحطيمها اذا اراد، ويجعلها تشعر بالقوة والحرارة التي كانت تجري في كل عضلة من جسده النحيل.

«السعر الجسدي؟».

سألته باحتقار واضافت.

«الست رجلاً كفاية لتنقذ امرأة دون ان تطلب منها ان تستسلم... لرغباتك؟».

«اذا ما كنت اقل من رجل، ارابيل، فأنا ربما اقتنع بأن انال منك القليل واعاملك كأخت».

احنى وجهه على وجهها ووضع شفاهه الدافئة على رقبتها الحريرية... كانت شفتاه حارقة، كما شفاه رجل يغزو الصحراء، بدأت تشعر بالاستسلام يدب فيها وبأنها تثير فيه الحاجة والتي كانت قريبة لما يشعر به رجل عطش، وبدأ يقبل وجهها وكأنه يريد الوصول الى كل شبر فيها، وكان كل عصب داخلها يصرخ لها منذراً بينما كانت تشعر بفمه داخل فستانها الشيفون الرقيق الذي غطى عظامها، وكان يقبلها بتأن وكأنه يريد ان يطول ذلك وكان ذلك... بدائياً، وكان عليها ان تهرب منه قبل ان يقودها الى الجنون.

ضربته على صدره، وحاولت ان تخرج من بين ذراعيه وكان كل ما فعله هو انه ضحك نتيجة ردة فعلها وتجاهل ذلك، كان تنفسه دافئاً على جلدها الذي عراها بشفتيه القاسيتين، وقال وهو يقترب من اذنها.

«سوف اعلمك ان ترغبي بقبلاتي، يا عزيزتي، وبعد ذلك سوف اجعلك تريدينني».

«وحش... قاتل... خنزير متعجرف».

ضربته وكأنها تضرب بيديها فوق جدار من الصوان، ضحك بخفة ورماها على السرير، واستلقى بجانبها وبدت عينه وكأنها شعلة في وجهه... وبيأس خربشته وشعرت بأصابعها تمسك بشيء ما.

انزلقت الرقعة المخملية عن وجهه وصرخت ارابيل وبدت الغرفة فارغة كما عينه المجوفة، وكان رأسها يشتعل بالافكار كما هذه الجروح في الجلد ذو التجاعيد حول تلك الفوهة المخيفة في وجهه الاسمر.

«لا... لا».

«توقفي عن ذلك».

صدمها بكلماته واضاف.

«هس، لا تصرخي هكذا! سوف تأذين نفسك».

«اذهب بعيدا، لا استطيع ان اتحمل النظر اليك، ان ذلك مخيف... مخيف».

مال فوقها فقط لدقيقة اخرى وبعد ذلك توقف ووقف على قدميه وتقدم باتجاه الرقعة السوداء التي نزعتها عن عينه، التقطها وابتعد عنها، وبذهول كانت ارابيل واعية له وهو يضعها فوق الفجوة الفارغة حيث تظهر اثار الجروح، تأوهت ارابيل واستدارت على وجهها ترتجف، كانت خائرة القوى، والآن بدأ نوع من الغثيان يلف جسدها.

«اتركني لوحدي».

قالت له وهي ترجوه.

«كما تريدين».

وكان هناك لحظة صمت وبعدها صوت اغلاق ابواب، وبعد ذلك ذهب، ادركت ارابيل بأنها كانت غبية، حقودة ومتوحشة جلست ترفع شعرها الغير مرتب عن وجهها، كان هناك دموع على وجهها، ولكنها لم تكن واعية لأي نواح، آه، يا الهي... كل شيء كان خطأ... هذا الزواج، البقاء هنا مع رجل كانت غير قادرة ابداً على ان تحبه، عضت على شفتيها، لا بد انه كان من المؤذي عندما فقد عينه وجدته لا يحتمل النظر اليه.

انزلقت ارابيل من على السرير، وذهبت إلى طاولة الملابس، حيث حدقت في وجهها الواهن في المرآة الكبيرة، هل كانت هي نفسها هذا الشخص؟ حادة الطباع حقودة وباردة الى درجة انها لا تتحمل ان تلمس من اي رجل؟.

التقطت المشط الذي اهداها اياه ومررته في شعرها. ولاحظت لون شعرها الذهبي اللامع ورأت تقاطيع وجهها وجسدها المنحوت في فستانها الشيفون، وجدت نفسها تتلمس عظام رقبتها، حيث لمسها وقبلها بشفتيه.

حدقت في عينيها وفكرت، لا، لا يمكن لها ان تصدق انها كانت شخص انانى تجاه عزيمة اي شخص.

كان هناك سبب آخر جعلها لا تتحمل ان تلمس من قبل الدون كورتيز، وكل شيء ظهر بينما وقفت هناك، في هذه الغرفة الفسيحة، بدا وكأنها اكيدة من ذلك السبب... لقد كانت عاشقة! لقد احبت شخصاً... شخص جائع يختفي وراء عقلها المظلم، لقد اخبرها وعليها بأن هناك شخص آخر في حياتها ولذلك هي تصرفت هكذا تجاه الدون كورتيز.

ولكن، اوه، اذا ما كان هناك رجل آخر تحبه، فلماذا لم يأت ويساعدها؟ ولماذا كان هذا الشخص هذا الاسباني الذي لا يعني لها شيئاً؟.

اغلقت عينيها، وجاهدت لترى ذلك الوجه الآخر، ولكن الستارة الفارغة بقيت هناك في عقلها حيث اصبحت اكيدة كلياً انها كانت تحب شخصاً ما. والتفسير الوحيد هو انه كان واحداً من هؤلاء الشباب الذين خبأتهم. اعتقل وكان غير قادراً على مساعدتها. والآن هو بعيد عنها وضائعاً... ضائع لأنها لا تستطيع ان تتذكر اسمه، او اي شيء عنه وكانت الآن زوجة لرجل غريب كلياً.

ليس غريب تماماً، ربما، في وقت ما التقاها دون كورتيز وقدم لها هذا السوار ذو احجار الياقوت الأزرق. رفعت زراعها ولمست الأحجار الزرقاء، والتي كانت معادة له لأنها حتى في ما مضى لم تريد هداياه.

والآن كل شيء انقلب لصالحه. انها تدين له لتهريبها من السجن... وتدين له بأن له كل الحق بأن يعلن بأنها له.

جواهره على يديها ومعصمها، الثوب الذي اشتراه ويغطي جسدها، والسقف الواسع لسان دي ڤيلا فوق رأسها، يبقي الشمس خارجاً، المطر وكل الدخلاء. استدارت ارابيل عن المرآة وحدقت في الغرفة التي سوف تتشاركها معه، ومعرفته بأنه متصلب جداً حتى يصل الى غايته حتى عندما قالت له عن عينه العمياء. كان قاسياً جداً حتى يتأثر بمشاعرها، طريقته في الحياة جعلته اكثر

قساوة واقل شعوراً بالحس. كانت متزوجة منه وهو يريد لهذا الزواج ان يكون واقعاً، وليس عملاً رهبانياً حيث الاجتماعات مهذبة فوق طاولة الطعام.

وصلت الى خزانة كبيرة تصل الى السقف، ذات ابواب محفورة، وكانت قطعة من الأثاث الذي يعود الى قرون مضت، كان داخلها مثل الكهف كما توقعت ارابيل، كانت مجهزة بجميع انواع الملابس، لكل المناسبات... ملابس امرأة.

ترددت وبعد ذلك سحبت ثوب ذهبي ناعم ولمسته... نعم، كان من نفس قياس الثوب الذي ترتديه وغالي الثمن، لقد ملأ الدون كورتيز لها الخزانة... اثواب، ادثرة، معاطف، احذية، وكانوا مجمعين بوفرة، هدايا رجل وصل الى هدف معين، ليملك لأمرأة وفاة غير ذلك الذي يعرفه في حلبات المصارعة.

ذلك ما كان قد قرره عندما التقاها للمرة الأولى، وتدخل القدر لكي يساعده للوصول الى هدفه... لقد نال ما أراد بينما كانت رغبات ارابيل ضائعة في ضباب عقلها، وربما ضاع منها كلياً في اعماق سجن مظلم.

هل كان هناك اي شيء في هذه الخزانة يعود الى حياتها الماضية والتي يمكن ان يساعدها لتتذكر؟ راحت تفتش بجنون، وتذكرت ما قاله الدون عن الذهاب الى شقتها، ليلتقط بعض اغراضها قبل ان يستقلوا الطائرة. آه... اخرجت بدلة وراحت تتأملها. كانت ناعمة ولكن كان واضحاً انها اقل كلفة من الأشياء الأخرى، وبأيدي مرتجفة فتشت جيب البدلة، ولكنها وجدت فقط محرمة بيضاء في احدى الزوايا وزهرة صغيرة ذهبية اللون.

رفعت الزهرة الى انفها واشتمت عطرها الذي كان خفيفاً، وكأنها احضرتها من سوق لاتيني بينما كانت تتجول خلال وقت الغداء وهي خارجة من مكتب عملها.

تنفست بعمق شذا الزهرة وجاهدت لتدخل من ثغرة الى عقلها، ولكن لم يكن هناك شيء حسي للتعلق به، فقط الشعور

المؤلم بانها وقعت في الحب في مكان ما، بشكل درامي وربما للمرة الأولى في حياتها، وكأن نتيجة ذلك ان اصبحت في غير مركزها الحقيقي.

الدونا ارابيل الدي فونزو دي لادورا، كان لقباً تهتم به المرأة، ولكن عدا الشيء الوحيد الذي يهم... الرجل الذي تهتم له.

وبعد ذلك قررت ان ترتدي هذه البذلة مع بنطالها، شيء ما احضرته بمالها الخاص وليس له علاقة بالدون كورتيز.

لقد عرف قلبها الحقيقة، بالرغم من ان عقلها رفض تقبلها، بأنها امرأة عانت من تجربة عاطفية مؤلمة والتي قادت بطريقة ما الى اعتقالها في فنزويلا. وذلك ما جعل الدون كورتيز يمهد طريقه ليبعدها بالقوة عن الشخص الذي تحبه، لقد كانت اكيدة من ذلك. لقد وجد طريقة ليحصل عليها، وبكل قساوة المصارع نفذ مخططه واحضرها الى سان دي ڤيلا كعروسه.

وقفت هناك ونظرت في عينيها الخائفتين وشعرت بأنها زوجة للشيطان نفسه.

الفصل الخامس

ميريندا، كلمة ساحرة تدل على الشاي، والذي سيقدم في الساعة الرابعة، كما قال زوجها وكانت ارابيل قلقة من ان تنزل الى الأسفل ام تبقى وتخاطر بقدومه الى غرفة النوم ثانية.

مشت على طول القاعة ذات الجدران المطعمة بالفسيفساء والتي اشعرتها بالبرد من جراء لمسها بينما كانت في طريقها الى الأسفل، وتمرر اصابعها على الدرابزين المنحوت، ووقفت هناك في القاعة الطويلة مترددة حتى التقطت صوت موسيقى تعزف في احدى الغرف، تبعت ارابيل الصوت ووجدت نفسها امام باب الذي ظهر امامها، باب مقوس من الحديد المنحوت والذي اعطاها نظرة عن الغرفة.

كانت فتاة صغيرة في الداخل وكانت تؤدي رقصة اسبانية متناغمة من نغم الموسيقى الناري، ذراعين شابتين تؤديان حركات معبرة تحت رأسها الأسود اللامع.

فكرت ارابيل في لحظتها بأنها ممكن ان تكون احدى بنات عم الدون الشابات، وبدت رقيقة جداً حتى تقدم لارابيل العدواة التي تخشاها، وقفت تنظر من خلال الشباك الحديدي الى الصورة

www.elromancia.com

الراقصة. . . لقد قال زوجها بأنه لم يعرف اباه ابداً، ولذلك فإن الاقارب الذي يعيشون معه لا بد ان يكونوا اقارب والدته، خالة واولادها مرحب بهم هنا لأنه يستطيع ذلك، ولكونه اسبانياً اصيلاً فهو لا يستطيع ان يذل شعوره بالشرف بعدم مشاركته في حياته الرغيدة مع من يحملون نفس دمه.

كيف ستكون ردة فعلهم تجاه زوجته الجديدة؟ وهل سيشعرون بالمهانة لأنه اختار ان يتزوج فتاة غريبة بدلاً من ان يحضر إلى عائلته امرأة من بلدهم وثقافتهم، امرأة تؤمن بمعتقد بأن الرجال هم الاسياد وعلى النساء الخضوع لهم.

دار فستان الفتاة حولها والذي كان مطعماً بنقاط قرمزية اللون حيث ابرز نحافة قصرها، طقطقت اصابعها ولمعان عيناها، وكان مغروساً داخلها النظرة الايبيرية والتي تدل على عمق الجنوب، حتى عندما لاحظت ارابيل من خلال باب الصالة الحديدي لم تفقد توازنها ولكنها تقدمت منها، وكانت عيناها ذي نظرة شرقية وهي تقول.

«اذاً. . . هل انت هي؟».

هبط قلب ارابيل وبعدها فتحت الفتاة الباب الذي بينهم وبدا الفضول حياً في عينيها بينما كانت تقيس عروس الدون من رأسها الى قدميها، كان للفتاة جلد ذهبي ناعم وكان وجهها بيضاوي الشكل مع غمازات صغيرة على وجنتيها، كل شيء فيها بدا صغيراً ومدللاً مع وعد بالنضوج في تقوس شفتيها.

«انت ترتدين كما جوفنسيتو».

كان استهزاء الفتاة خفيفاً وضحكت ضحكة بريئة واضافت.

«انا لا ارتدي البنطلون ابداً لاخفي قدمي، ولكنني افهم بأن المرأة الاجنبية تختلف. . . ام ان لديك قدمين قبيحتين ولا تريدين ان يلاحظهم الدون كورتيز.

لقد لاحظهم».

خرجت الكلمات من فم ارابيل قبل ان تلاحظ ذلك، وعرفت

للتو بأنها كانت في حالة دفاع مع عائلة الدون، والفضول الطبيعي الذي يثيرهم الآن، وعندما اجابت ارابيل ضحكت الفتاة ودفعت يدها نحو ارابيل وسحبتها الى الصالة.

«انها موضة، اليس كذلك؟ انا، لا احبها، انا امرأة واحب كوني كذلك لأن الحياة تكون اصعب على الرجال، واحياناً مثل كورتيز فهو يخاطر بحياته ليخلق شيئاً في حياته.

سحبت ارابيل الى وسط الغرفة، وكانت تحدق في هذه الفتاة الاسبانية المدعية.

«كورتيز. . .».

واضافت الفتاة.

«عليه ان يصنع مجده ولا يستطيع الاعتماد على مستخدميه. . . آه، انت تجفلين عندما اقول ذلك، انت لا تحبين ذلك كونه كان مصارع ثيران مشهور».

«انا سعيدة على الأقل بأنه توقف عن التصرف بحياته على هذه الطريقة».

تكلمت ارابيل بوضوح ونظرت حولها الى الصالة ثم نظرت الى اعلى حيث السقف. كان على شكل محار البحر حيث تدلى منه ثريتان من الذهب الاصفر، وفي مواجهة الجدران الاجاصية اللون كان هناك صورتين من الفسيفساء، واحدة لمريم العذراء، والثانية لفارس وصقر.

«لماذا، هل لأنه يخاطر بحياته، ام انه يغرس السيف في الثور».

نظرت ارابيل إلى الفتاة وقررت ان تكون هادئة وقالت.

«لا استطيع ان ادعي اني اعشق مصارعة الثيران، ان ذلك يخالف مبادئي ويبدو وحشياً للغاية».

«على الرجل ان يكون شجاعاً ليقوم بذلك».

«او بربرياً».

ضاقت العينان السوداوين ووضعت الفتاة يديها على خصرها

في طريقة وقحة وقالت.

«اذاً، الوحشية والاحترام ضائعان في بلدنا، ولكن على الأقل نحن نأسف على خطايانا، ولا ندعي بأنه لا يوجد نار نحترق فيها، انا اعتقد بأن الاميركيين يعيشون فقط للمتعة ولا يحسبون حسابهم».

«ذلك ليس صحيحاً».

اعترضت ارابيل واضافت.

«انني اجروء ان اقول بأن في كل بلد هناك التدين وهناك الباحثين عن المتعة، واسبانيا ليست بلد الرهبان».

«ولكنها بلد حيث الرجل هو السيد».

قالت الفتاة ذلك بعنف خفيف، وكأن عائلتها اقتنعت بأن الزوجة الاميركية للدون كورتيز سوف تثور على سيطرة زوجها الاسباني حركت الفتاة اصابعها في حركة لاتينية وقالت.

«هل تريدين ماريكون للزواج؟».

«ماذا؟».

«طفل زهرة البانسيه، شخص يمكنه ان يكون كأخت لك، يمشط لك شعرك، ويضع لك عطرك».

«هذا جزء من مثل نهائي».

كان على ارابيل ان تبتسم، ورأت في عقلها تفاخر حيوانات الدون الغير مهتمة، والصورة البارزة بشدة للرجال العاطفيين.

«لماذا تقفين على الحد؟».

نظرت اليها الفتاة بعينين فضوليتين واضافت.

«كورتيز رجل مسيطر جداً وفتاة من هذه الانحاء سوف تكون مسرورة جداً اذا ما اختارها كزوجته، انه رجل بكل معنى الكلمة، قوي الشخصية ولديه نفوذ كما لديه سلطة، ما هو خطأ فيك هو انك تقفين هناك بوجه يشبه لون الحليب، وتبدين وكأنك مستعدة للهروب بعيداً؟ هل انت متوترة منا؟».

«انا... انا افترض انني كذلك».

وبينما كانت تتكلم ارابيل تساءلت اذا ما كان الدون اخبر شعبه بأنها اتت من المستشفى وتعاني من فقدان الذاكرة، بالطبع لم يتركها لتدعي بأنه لا يوجد اي خطأ؟ وبالطبع عليه ان يعرف بأنهم فضوليون تجاهها ويسألون جميع انواع الاسئلة!.

«انت تعتقدين اننا لا نحبك؟».

تقوست الشفاه الشابة في ابتسامة واضافت.

امي ربما لن تفعل، لأنها في عمق عظامها امرأة اندلسية والتي تؤمن بقوة بأن على الشبيه ان يتزوج الشبيه، وانت بالنسبة الى الفتاة الجنوبية مثل زهرة الزنبق بالنسبة لزهرة القرنفل، انت تجدينني صريحة للغاية، اليس كذلك؟.

اومأت ارابيل برأسها وبدورها ارادت ان تكون صريحة، لقد ارادت ان تقول انها كانت متزوجة من رجل يبدو غريباً كلياً عليها. وبأنها لا تتذكر اي شيء عن حفلة زفافها، وشعرت بخوف من المستقبل، وكانت تلك اللسعة من الخوف التي جعلتها تمتنع عن النطق بالحقيقة. اولاً ارادت ان تعرف منه لماذا اختار ان يدعي بأن كل شيء كان طبيعياً بينهما. هل اعتقد بأن ذلك سيزيد على عائلته عدم الثقة بعروسه الأجنبية واذا ما عرفوا ايضاً بأنها قدمت الى سان دي ڤيلا بحالة ضياع وصدمة؟.

«الشعب الأسباني يؤمن بأن الأسرار في العائلة ممكن ان تسبب مشاكل».

هزت ابنة الخالة الشابة رأسها فاهتزت الخواتم الصغيرة في اذنيها وتسلط ضوء الشمس عليها الذي اتى من خلال الأشجار وراء نوافذ الصالة. وبعد ذلك وكقطعة صغيرة اقتربت وامسكت ارابيل برسغها وقالت:

«هذا هو سوار خطبتك، اليس كذلك؟ كم هو رومنطيقي، ازرق مثل عيناك، ماذا اعطيت كورتيز؟».

«انا... لم يكن لدينا وقت من اجل التسوق. لقد تركنا فنزويلا بعد ان انتهى حفل الزفاف مباشرة... ربما لم يتوقع اي

شيء».

وبعد ذلك ضاقت العينان الداكنتان وشدت الأصابع النحيلة على معصم ارابيل، وتضغط بالجواهر على جلدها وسألتها:

«الم تقومي برحلة شهر العسل؟.. لا رحلة عسل كما نسميها نحن! ولكن نحن فهمنا انك كنت في قرطبة لمدة اسبوع؟».

«انا... انا لم اكن بصحة جيدة... بعض الحشرات التي التقطتها، بدون شك».

شعرت ارابيل بالقرف من كذبها، وفي نفس الوقت بالصلابة اذا كانت قد قالت الشيء الخطأ وجعلت الأشياء اسوأ مما هي عليه بينها وبين الدون كورتيز. لماذا لا يستطيع ان يخبرهم الوقائع الصحيحة؟ هل اعتقد بأن اقربائه سيظنونها تعيسة اذا ما اعلن لهم بأن عقلها مشوشاً؟ هل يجب ان يأتي كبرياءه قبل ألمها.

مشت ارابيل ووقفت قرب النوافذ المفتوحة، حيث تنفست الهواء النقي وصلّت ان يصل زوجها ويضع حداً لهذه المحادثة. لم تريد ان تكون جافة مع ابنة خالته، ولكنها بدأت تشعر بالإثارة وكان ذلك بالنسبة لحالتها الحالية محمولاً.

«نحن نقول بأن هؤلاء الذين يريدون ان يقطفوا ثمار الرمان ويحصونها منهم فقط يلعبون بالحب»، اصبح وجه الفتاة اكثر هدوءاً وجدية واضافت:

«انا لاز، وآمل ان يكون هناك رجلاً منتظر في مكان ما ليعود ويأخذ دعامته».

استدارت ارابيل وحدقت في الفتاة، مذهولة مما قالته، وكيف تعبر عن معتقدات هذا الشعب بأن المرأة هي دعامة للرجل الذي تتزوجه.

«الست دعامة كورتيز؟».

«ذلك يبدو... بدائياً».

«نحن بدائيون في بعض الأشياء، وعواطفنا يمكن ان تكون عنيفة جداً... سال ايسبادولا كما نسميها، دفء الروح والجسد

معاً».

«يبدو ان هناك الكثير للعيش من أجله».

«ربما انت نحلة حطت ضمن ارض دبور، الوقت سيخبرك، ايتها الفتاة الأميركية، اذا ما تزوجت كورتيز فقط من أجل ماله».

«لم يكن كذلك».

قالت ارابيل بهدوء وأضافت:

«باستطاعتك تصديق كلمتي بالنسبة لهذه الناحية».

«اريد ذلك، لأن كورتيز كان جيداً معنا، وعلى امرأته ان تكون احسن معه».

«يبدو ذلك وكأنه حيلة».

اجبرت ارابيل نفسها على الابتسام وأضافت:

«اتمنى ان لا تكون كذلك، لاز. واتمنى ان نصبح اصدقاء».

«انني سعيدة ان ابن خالتي تزوج، ولو من اجل شيء واحد، فسو يصبح عندنا طفل في العائلة واحتفال كبير عندما يقومون بتعميده... كم انت خجولة! الا تذكر هذه المسائل في الحياة الزوجية للأميركيين».

«سوف يحدث... كورتيز لا يكتم سراً في رغبته بطفل، وانت مرغوبة كفاية من أجل هدفه».

لم تستطع ارابيل ان تكبت ابتسامة صدرت عنها نظراً لعواطف وكبرياء هذه الفتاة، والتي كانت تحمل دم الدون كورتيز.

«وهكذا على المرأة ان تكون راهبة أو أقل حتى تتزوج، ولكن من المسموح للرجل ان يكون ثائر المزاج؟».

«وشعرك الذي يدعي لون الذهب. كم مرة تضطرين لصبغه لكي تخفي جذور شعرك السوداء من الظهور؟ لا يوجد شيء اكثر تشوهاً من ان ترى شعراً اشقر له جذور نحاسية اللون قاتمة».

اعترى ارابيل حنق من هذا الكلام التي قالته هذه الفتاة الأسبانية وقالت:

«شعري ليس مصبوغاً».

قالت ذلك وشرارة الغضب تتراقص في عينيها وأضافت:

«انت قطة صغيرة حقودة، الست كذلك؟ وتحاولين جعلي اشعر بأنني غير مرغوبة هنا قدر استطاعتك، حسناً، لا تنسي انني زوجة الدون، وربما لن يحب ذلك اذا ما اخبرته الاهانات التي صدرت من مراهقة غيورة».

«غيورة؟».

انكمشت يدا الفتاة بانزعاج على فستانها وأضافت:

«منك؟».

«نعم».

وللمرة الأولى منذ ان قدمت إلى هنا احست ارابيل انها حققت شيئاً وأضافت:

«انت لا تستطيعين ان تتحملي فكرة احضاره زوجة الى البيت يجب عليك ان تعتادي على ذلك، لاز، لأنه اكد لي انني باقية هنا».

«لقد اجبرك على الزواج منه؟».

اقتربت لاز الى ناحية ارابيل، وكان هناك فضول غريب في عينيها.

«هل انت واحدة من هؤلاء الفتيات التي سمعت عنهم... معترضة ان تكوني زوجة، خائفة من رجل لأنه اقوى وقادر على فرض ارادته على امرأة؟ هل هو صحيح ما يقولونه عن النساء في الشمال، بأنهم باردات ومستقلات ولا يهتمون بأن يكرن الرجل سيدهم؟ لذا ليس هناك غرابة في انك تجلسين هناك بوجه يشبه الياسمين الأبيض».

ضحكت لاز ضحكة استهزاء ووصلت قرب ارابيل لتلمس شعرها الذهبي، كلمات بدائية من شفاه شخص يحمل نفس دم الدون كورتيز... كلمات كانت حقيقة، تدخل إلى عقل ارابيل، وتجعل جسدها يعاني حقيقة مرعبة ارادت ان تهرب منها.

«انت امرأة ثلجية محطمة كان يجب عليك ان تتزوجي شخصاً

من نوعك، وليس شخصاً مثل كورتيز، او ربما كان عليك ان لا تتزوجي ابداً اذا ما كنت تتوقعين من الرجل ان يعاملك كراهبة».

«باستطاعتك ان تأخذي كل شيء مني يا لاز، ان زوجتي لا تتوقع شيء من هذا النوع».

بدا قلب ارابيل وكأنه سيتوقف عندما سمعت صوت رجولي عميق، وقالت في نفسها بأنها لا تستطيع ان تنظر اليه ولا تشعر ثانية بذلك الشعور بأنها تريد ان تصرخ وبخطوات صامتة طويلة تقدم ووقف قربها وفي اللحظة التالية كان يقف بينها وبين ابنة خالته الشابة، بالرغم من اعتراضها نظرت ارابيل الى الأعلى لتواجهه فرأت تلك العين الوحيدة التي تحمل تعابير مختلفة كثيراً عندما ينظر اليها مسيطراً، متملكاً، طالباً منها ان تتصرف كزوجة مناسبة امام اقرباءه.

«كنتما تتعرفان على بعض؟».

قالها ووقف هناك واضعاً يده على ظهر الكرسي التي تجلس عليه ارابيل وبدا اسبانياً اكثر من ذي قبل.

«من الجيد ان يكون الانسان في منزله ولا اعتقد بأنني سأسافر ثانية لمدة من الوقت...».

تحركت الفتاة باتجاهه وكانت عيناها الداكنتين مركزة على وجهه، وصلت اليه ووضعت يديها المعبرتين على كتفيه، ولاحظت ارابيل بأنها كانت تضغط بأناملها على العضلات تحت قميصه الابيض النقي وسألته.

«لماذا تزوجت من اجنبية؟».

قالت لاز ذلك وكأنها تأمره وتضيف.

«هذه الفتاة تشبه واحدة من اسماكك الذهبية المخبئة، نحن من دمك، هل سنأخذ المركز الثاني بعد هذه المرأة».

ضحك الدون ولكن ضحكته كانت قصيرة وصعبة واضاف.

«اولاً تريدين ان تعرفي اذا ما كانت ارابيل تتوقع ان تعامل كراهبة، والآن تريدين ان تعرفي اذا ما كنت سأبعد عائلتي عن

القصر لأهب وقتي لهذه الفتاة، انك تخادعين يا ابنة الخالة الصغيرة».

حدقت لاز عالياً في وجهه، وتبحث في وجهه، وتبحث في وجهه عما اذا ما كان الزواج جعله فجأة غريب عليها، وقالت.

«تبدو مختلفاً قليلاً يا كورتيز، وكما سمعت فإن الزواج يصنع الرجال، انت تبدو غريباً اكثر، وكأن هناك اسرار في قلبك الآن ولا تريد ان تشاركنا اياها».

هز كتفيه وحدق بطريقة ذات مغزى وقال.

«عندما تجدين شخصاً تتمنين ان تتزوجيه يا لاز، فعندها ستفهمي بأن الرجل وزوجته يتشاركون في علاقة مميزة، كأن لا بد لي من ان اتزوج وهذا شيء محتوم، وكلكم عرفتم ذلك، ولا يمكن ان يكون هذا الشيء كمفاجأه كبيرة عليكم، وأمل بالتأكيد بأن لا تكون هذه المفاجأة غير سارة لكم؟».

مررت لاز عينيها على ارابيل وقالت.

«لو كنت فتاة اسبانية...».

«حسناً، هي ليست كذلك، انا اتزوج ما يحلو لي، واذا لم تكوني حذرة يا فتاتي استعمل سلطتي واجد لك زوجاً يبقيك جانباً، لقد كبرت وانت وقحة واعتقد بأن وجهك الجميل سيبعد عنك اللوم والمعاتبة ولكن احذري يا لاز، فأنا رأس هذا المنزل وارابيل الآن هي سيدته، ولن اتحمل اي تصرف منك يمس ارابيل، لم تكن ارابيل في صحة جيدة منذ عدة اسابيع، بل ان اعصابها مهزوزة في الوقت الحاضر».

الفصل السادس

«اذاً، يا قريبي فأنت الآن رجل متزوج؟».

دخلت خالته الغرفة ثم اضافت وهي تلقي نظرة مثبتة على ارابيل بينما كانت تتكلم.

«باستطاعتي ان اقول بأن الدم العربي فيك يحب الجلد الابيض، ايه؟».

«انا لا انكر ذلك يا عزيزتي، ربما يعود ذلك لعلاقتي مع اسلافي».

وبينما كان يتكلم استدار الى الخادم الذي ظهر في القاعة وهو يحمل صينية مشروبات.

«لقد لاحظت بأننا نأكل الطعام الاسباني في هذا البيت وليس الطعام الذي يفضله الاميركيين» سألت الخالة.

سوف يقدم لنا غداء هنا... انني اكيدة من ان ارابيل سوف تتناول غداء جيداً لاحقاً في هذا المساء لذا ارجو منك يا عزيزتي، ان لا تحاولي وتتخميها وكأنها اوزة، انني احبها كما هي».

«جلد وعظام... كمعظم هؤلاء الفتيات الاجنبيات، ويصيبهم وجع الرأس من جراء ذلك».

www.elromancia.com

«بحق السماء. . .».

ضحك ضحكة خفيفة واضاف.

«سوف تعتقد ارابيل بأنها تنضم الى مخزن وليس الى عائلة اذا ما استمريت في هذا الحديث، لا تهتمي يا عزيزتي لخالتي العزيزة، لقد بقيت عازباً لمدة طويلة وعليها الآن ان تعتاد على فكرة انني متزوج».

وبينما كان يتكلم حرك يديه حتى اصبحت ترتاح على كتف ارابيل، دفء اصابعه سرى الى جلدها الرقيق، كان عليها ان تقاوم ان لا تسحب نفسها بعيداً عن لمسته، اشارة مباشرة الى عائلته بأنها تنتمي اليه ومن الافضل لهم ان لا يظهروا خيبتهم بأنه تزوج من عروس غير اسبانية.

«ربما يهمني ان تعرفي يا عزيزتي. . . بأنني اعتبر ارابيل جميلة جداً للنظر اليها، ولا يقلقني انه ليس لها مخالب بقرة قوية، ولا ثورتها، اتمنى ان تفهمي ما اعني؟ انها امرأتي، ولا اريدها ان تخاف من اي اقتراح بأن ترفع من شأن اسمي بأسرع وقت ممكن».

«كما تقول كورتيز».

قالت الخالة ذلك وحدقت في لاز ووضعت لها في صحنها شرحة من قالب الحلوى.

كانت لاز تحدق في الدون ومنه إلى زوجته، رجل لاتيني وامرأة مرتبكة، تناقض غير منسجم ابداً، وقالت لاز.

«لقد سمعت عن فتيات ونساء خطفت في هذه الاماكن».

«لاز».

بدت والدتها مصدومة وقالت.

«يجب ان يقطع لسانك».

«حسناً وهكذا قاموا. . .».

حدقت لاز في ارابيل وقالت.

«هل كنت خائفة من عقلك؟».

«لقد كانت كذلك؟».

تكلم بقساوة واضاف.

«والآن اصبحت تعرفين كل هذا، سوف تنسين ذلك وتسمحين لارابيل لتجد راحتها وتريح اعصابها ثانية، لقد مرت في تجربة سيئة، ولكن هنا في المنزل سوف تعالج نفسها وتتعلم ان تكون. . . سعيدة».

«لك كل الوقت في هذا العالم».

قال ذلك بتعجرف واضاف.

«ان الوقت ليس سيداً في اسبانيا».

الرجل هو السيد، كما اعتقد؟».

نظرت مباشرة الى وجهه، وشعرت بحيوية وحياة هذا الجسد المثير قريبة من نفسها، والذي يذوب بالاثارة والرجولة في جسده، وروحه.

وفي صورة عقلية رقيقة رأت نفسها قريبة من ذلك الصدر الدافىء، ذو الشعر الاسود الداكن وشعرت بهذه الشفاه القاسية المنحوتة تأسر شفتيها، رعشة صغيرة مؤلمة سرت في جسدها، وفي اللحظة التالية كانت تقف على قدميها وتهرب بعيداً عنه، عبر الصالة الى اي مكان حيث اعاقتها دالية ياسمين بالقرب من نافورة المياة، وبعد ذلك وجدت بوابة حديدية صغيرة والتي فتحت لها لتدعها تدخل في منطقة اخرى من هذه الاملاك الشاسعة.

ركضت، تعرف بأنه يلحقها، حتى توقفت تحت شجرة نخيل، وجسدها النحيف يضرب بجذورها السفلى.

ارتعاشة مفاجأة انتابتها بينما كانت يداه تقبض على معصمها وادارها ناحيته وسحبها نحو الدفء القاسي لكتفيه وقال.

«لا يوجد مكان لك سوى هنا. . . هنا معي».

تكلم في لهجة نهائية واضاف.

«واجهي الواقع، انت غير مستقلة، ولا تعرفين نفسك وما تريدينه حقيقة. يجب عليك ان تدعيني اذكرك بما استطيعه،

ويجب ان تسمحي لي ان اعرف ما هو لصالح زوجتي ومنفعتها.

«هل كنت زوجتك لو كانت الظروف مختلفة؟».

ارجعت رأسها وكأنها تصر على ان يخبرها الحقيقة وقالت.

«هل كنت وجدت نفسي متزوجة منك... اذا لم اكن في تلك المشكلة في فنزويلا والتي استغليت انت منافعها؟».

«لا».

قال ذلك بدون اي تردد واضاف.

«ان لدي سبب واضح وجلي يجعلني اعرف بأنه لم يكن ممكناً ابداً ان تتزوجي مني... بأرادتك.

«ان ذلك يعني بأنني... بأنني لا املك الوقت له، اليست هذه الحقيقة».

«ربما».

هز كتفيه وبدأت الشمس تضرب على وجهه والذي بدا اكثر جاذبية وخطورة ومظللاً بالرقعة السوداء حيث كان مشوهاً واضاف.

«ولكن ذلك حصل في الماضي، ولا شيء يغير الواقع بأنك هنا في سان دي ڤيلا وبأن القانون الاسباني يجعلك كليا لي، وليس لي من ضمير في ذلك، لقد سمعت ما قالته لاز منذ وقت قليل، وصدمة والدتها ويمكن ان يحصل ذلك وليس لي من منفعة منك في ذلك، اخبريني...».

رفع وجهها لتنظر اليه، ويلف يده حول حنجرتها، واصابعه بدت دافئة وداكنة في مواجهة جلدها الابيض ونبضها الرقيق.

هزت كتفيها وحدقت في ذقنه القاسية وعظام فكه البارزة، والشهوة والرغبة في شفته السفلى المنحوتة بقساوة، وفجأة بدا ان شهوانيته هذه راحت تمارس احتياله على تقاطيع وجهها.

وبنغمة مفاجئة من تنفسه مال بنفسه ناحيتها ووضع شفتيه على حنجرتها وعنقها.

«لذيذة... لذيذة مثل زهرة السوسن... هل تعتقدين بأنني استطيع ان اتركك بين مخالبهم القذرة؟ لقد عرفت انك

تكرهينني، اعرف ذلك كما اعرف جهنم، ولكن انا لم اهتم للعنة! انا املكك! انا اضمك، وسوف اجعلك تريدينني حتى ولو كنت ترفضين ان تحبينني».

«انا... انا لن اريدك ابداً».

ضربته بيديها عندما سحبها ناحيته واسكت فمها بقبلته الحارة، ضربت قبلته بعمق، بعمق في داخلها، ويضرب اعصابها وكأنها على آلة تعذيب، ويجعلها تركع على ركبتها عندما دفعها بنعومة على ظهر الشجرة حتى انتهى من مداعبتها.

اتكأت هناك، تتنفس وتتمنى ان يعود تنفسها طبيعياً، وتشعر بدوار من جراء قبلاته وشذا الازهار في الشمس الحارة، وفقط عيناها بدت حية وهي تلمع مثل شعلة زرقاء في عينيه.

«انني اكرهك... لقد شعرت بذلك على الدوام... متعجرف، متوحش، تستغل كل شيء لتصل الى هدفك ولأنك فائز لعين اكثر من كونك منتصراً ان ذلك يسري في عظامك انك تحب ذلك عندما تستطيع ان تغرز سيفك في مخلوق مقهور، ان خالتك على حق، ان ذلك ما تعيش لاجله، وهكذا انت احضرتني الى هنا لاتعذب».

«ذلك ما تؤمنين به انت؟».

قال ذلك بقساوة وبدت عظام وجهه قاسية بينما كان يتكلم بدت شفتيه مثل حد السيف.

«ذلك ما اخذتني من اجله وتعتقدينني وحش يحب ان يراك تخافين وتبكين، وبكل نبضة من نبضاتك، لتصبحي ممسحة لي لأنظف قدمي بها؟ تعتقدين بأن هذا هو الزوج الاسباني، اذا كان كذلك يا حياتي فهناك الكثير اذا لكي تقومي بتعلمه، ويجب ان نبدأ اعتقد ببدايات الرجل الوصي وهذا افضل لكلينا».

«بدون شك ذلك افضل لك».

رجعت الى الوراء بوجهها الغاضب واضافت.

«وتوقف عن مناداتي بيا حياتي... ان لديك روح اقرب الى

النسر، انت ترى بأنني لا يجب ان استعيد ذاكرتي ولقد قمت بالانقضاض على الاثار عندما كان يأخذونني الى ذلك السجن».

شعرت ارابيل ببعض النصر، لان غريزتها بالنسبة لعلاقتهم كانت صحيحة وانه اصبحت غير بعيدة في استعادتها لذاكرتها وقالت.

«لقد عرفت منذ اللحظة التي تقابلنا فيها في تلك المستشفى بأنني لم اتزوجك ابداً وانا في كامل سلامة عقلي! لقد اجبرت على ذلك وانا... وانا اعتقدت بأنني اصبت بفقدان الذاكرة هذا لانني اردت ان اهرب مما تجبرني على فعله، لقد اخبرتني اليس كذلك؟ لم اتكلم بالزواج بكل ارادتي ورضاي، هل فعلت ذلك؟».

وشعرت به يمسكها ويضمها قرب شجرة النخيل وقال.

«لقد وقفنا مع بعض في كنيسة السجن، حيث كان ظلال لهيب الشموع على الجدران، والحراس كانوا هناك.

كانت كلماته غريبة وتصور لها احتفال زواج داكن غريب وقال.

«تلك الليلة ارابيل، ربما كنت تزوجت من الشيطان نفسه لكي تستطيعي الفرار من ازمتك تلك».

«ربما تزوجته، بالطبع الشيطان هو الوحيد القادر على ذلك».

«ربما كذلك...».

«اوه، انا لا اشك بذلك دون كورتيز بأنني يجب ان اكون ممنونة لأنني اصبحت تحت رحمتك بدلاً من رحمتهم».

تذكرت ارابيل بأنها ممكن ان تكون تركت حبيبها الضائع في ذلك السجن هناك في فنزويلا.

«انني اعترف ان سجنك اكثر جاذبية من سجنهم ولكن لا تتوقع مني اذا ما تصرفت معك كغريب».

«على الأقل هذا الغريب يسمح للشمس بأن تلمس جلدك وللثياب الفاخرة كذلك... لماذا ترتدين هذا الثوب وانت لديك اجمل الاثواب في خزانتك».

«مهما اخذته مني كزوجة عليك الحصول عليها... انا لا

انوي ان اعطيك اي شيء من حريتي وارادتي».

«ولا حتى كرهك؟... بالطبع لديك الكثير منها لتعطيها لرجل خاطر بحريته من اجل انقاذك».

«انت لم تنقذ شيئاً... وانا اجروء لقول ذلك بأن ما اخرجتني من السجن إلى الكنيسة كانت بضع قناني من الخمرة الاسبانية وبضع روايات اسطورية عن مجدك داخل الحلبات، وعلى كل حال، ما هي المرأة؟ فقط شعر طويل وجسد جميل لمتعة الرجل فقط... استطيع ان اراك دون كورتيز تضحك مني تحمل الكونياك بيديك..».

«توقفي عن ذلك... كيف تجرؤين على قول اشياء كهذه، انك تعرفين داخل قلبك بأن ذلك غير صحيح».

«اعرف القليل في الوقت الحاضر، سنيور، عدا ما اشعر داخل عظامي عندما دخلت الى السجن، وكنت كمصارعة التي تحاصر ثور لتغرز السيف فيه».

«لقد انقذتك من ان يعاملوك كشيء هل تفهمين ذلك؟ هل تعتبرين يداي قاسية وحارمة كما يديهم، كوني ممنونة ارابيل لأنني لا املك ذلك المزاج السيء، واذا ما فقدته معك».

«هل تلك خدعة ام وعد؟ اوه، هل تعتقد انني ضائعة جداً بين الغيوم الى درجة انني لا الاحظ لماذا ساعدت هؤلاء الاولاد وانقذت حياتي؟ انا اعرف... اشعر بذلك داخلي... بأنني اهتم لشخص ما! واحد من هؤلاء الشباب، وانت تعرف ذلك، اليس كذلك؟ انت تعرف اي واحد منهم، وعلي ان اعيش معك واتحمل فكرة ما قد يعانيه... الرجل الذي احبه».

حدق الدون كورتيز في وجهها الرقيق، وبدا ان تنفسه قد توقف، تحركت عضلة في فكه، اشارة غضب مريعة مزاج غضب تطاير من عينيه تلك، طحنت يداه يديها، واشعلت النار فيهما.

«اذاً ما صدقت بأنني احبك... انت لي، هل تفهمين؟ لي، في الفكر، الكلمة والحقيقة، لقد تزوجتك، والدي فونزو لم يريد

ان يتزوج اية امرأة اخرى، انت زوجتي، ولا يجب ان اذكرك بان لا يحق لأي رجل فيك، انني اخبرك هنا والآن بأنني الرجل الوحيد في حياتك».

«بأستطاعتك ان تخبرني كل شيء تحبه، بأستطاعتك ان تجبرني على فعل ما تحبه، ولكن لا يمكنك الدخول الى عقلي والتحكم به.. وانت تعرف ذلك، يجب عليك ان توقف نفسي لكي توقف تفكيري عن الايمان بأننا عندما هربنا تلك الليلة من فنزويلا كزوجة لك، قد تركنا وراءنا الشخص الذي احبه فعلاً».

وبعد ذلك انسدل شعرها على وجهها ذهبياً مغرياً ومثيراً وقال الدون.

«انا افعل ما علي فعله ، ارابيل، اكرهني من اجل ذلك اذا اردت ولكنني لا استطيع ان اسمح لك بالذهاب... وسوف اصر على هذاالزواج مهما جرى عليها، ومهما كانت معاركنا، وانا اصّر على ان تتصرفي بطريقة طبيعية امام خالتي واولادها انهم كل ما يرتبط بدمي وهم يحترمونني».

«انهم يشعرون بالواجب في تنفيذ ذلك».

قال ذلك لارابيل وهي تشعر بشفتيه على حنجرتها ويثير عواطفها بقوة وقال.

«متى تعلمت يا عزيزتي ان تكوني قاسية في كلماتك؟ انا اريدك بالرغم مما تقولينه لي».

«لقد امتلكتني، اليس كذلك؟ برضاي او بعدمه».

«نيران جهنم واللعنات».

اخذ شعرها بين يديه ولفه حول رقبتها وكأنه يريد خنقها.

«ان هذا الحرير الذهبي الذي تملكينه رائع، لقد كان شعرك ما احببته قبل اي شيء آخر».

هز كتفيه القاسيين واضاف.

«انت لي لكي احميك، لي لامتلكك، مهما فكرت بذلك، زواجنا باركه خوري في كنيسة رومانية وانت لي في الجحيم...

وربما بعض لمسات الجنة، يا عزيزتي الصغيرة».

«الجنة؟».

لمعت عيناها الزرقاوين بمواجهة وجهه و صافت.

«ستكون جنة في النهار، سنيور هيدالغو».

«او الليل...».

قالها بطريقة ذات مغزى مثير.

www.elromancia.com

الفصل السابع

استلقت ارابيل واستراحت قرب شجرة نخيل عندما تركها الدون كورتيز، وكل شيء فيه يدل على اسبانيته الاصيلة.

تنهدت ارابيل ورفعت شعرها عن جبينها... هل سيحصل هذا دائماً عندما نكون مع بعض؟ معركة ارادات ترفعها الى قمة الغضب وتتركها وكأنه نشر اريجه حولها.

اللعنة عليه.

لفت حول الشجرة جلست وشعرت بالدموع الحارة تتجمع في عينيها، لقد ارادها فقط. وكان قليل الاحساس وكل ما تمنته هو ان تستطيع الذهاب الى خالته وتسألها المساعدة لتهرب منه. ولكن المرأة كانت تحمل مواقف اسبانية كأبن اختها وسوف تعتبر ذلك خاطئاً اذا ما تركته عروسه الجديدة، ان قريبها الثري كان صاحب ثروة واراضي وممتلكات، رجل تدمي له النساء ازهارهم من القرنفل، وسوف لن تستجيب للطلب ارابيل، فلتساعدها السماء، ولكنها كانت عاقلة.

حدقت حولها ورأت الجدران البيضاء للقصر فقط، المكان الذي من المفترض ان يكون بيتها حتى تجد طريقة لتهرب منه.

رجعت الى القصر حيث كان شاي الظهيرة يقدم، كان المكان خالياً...

«ذلك كل ما املكه... اني اعرف، اعرف انه في مكان ما في وقت ما، قد قابلت رجل واحببته بجنون، والآن ربما يكون قد مات ولكن اذا لم يكن قد مات والتقينا ثانية، فسوف اصبح امرأة حرة من جديد او امرأة مقيدة مع زوج تكرهه.

غابت الشمس، واصبح شذا الحدائق اغنى واكثر اثارة وارتجفت ارابيل قليلاً، كان من المفروض ان تكون هذه ليلة زواجها ولقد توقعوا منها ان ترتدي فستان احضره لها وتتصرف كعروس محبة امام عائلته، لن تستطيع ان تفعل ذلك.

تضايقت ولكنها عرفت ان عليها ان تقوم بذلك، وسوف يجعلها ترتدي ثياب على ذوقه اذا ما رفضت ان تسير على الطريق القويم، يلمسها بهذه اليدين والتي جعلها القفص والسيف ماهرة مثيرة. اللعنة على عينيه، ارتجفت ساقيها بينما استدارت عن السور الحديدي... ثم صرخت عندما رأت صورة طويلة تقف على مدخل غرفة الجلوس، صامتة وتبدو كصورة من حجر.

«اوه، انه انت».

وضعت ارابيل يد على فمها واضافت.

«لا بد ان لديك حيلة القط، انا لم اسمعك...».

«لقد كنت بعيدة جداً... هل كنت تصلين لآلهة الليل لتنقلك بعيدا عن سان دي ڤيلا؟».

«انا... انا كنت اتساءل ماذا ارتدي لسهرة العشاء... اعتقد بأنك تريدني ان اضع الازهار وارتدي الملابس امام خالتك واي شخص ربما يكون فضولياً بشأن عروسك الغريبة».

«انا سعيد على الأقل، انك لم تفكري في تناول العشاء ببدلتك الصبيانية هذه».

اشعل سيجارة ورأت وجهه فوق الشعلة واضاف.

«سوف يسرك ارابيل بأنني اجدك جذابة، وسوف احاول ان

اخرج من المرأة الدفينة. انني اتساءل ما الذي تطلبينه؟ ان خالتي سوف تنصحني بأن اؤدبك فوق ركبتي».

«اياك ان تجرو».

ابتعدت ارابيل عنه بخطوة واسعة فيما هو يلحق بها واضاف.

«لن اعامل كطفلة، ان لي الحق في رأي بك، وسوف يكون من السيء اذا لم تهتم لقراءة شخصية خفية».

«انت لا تقرأين خطوط كفي، يا عزيزتي... هناك طريقة للتعامل مع المرأة العنيدة وسوف تكون ممتعة لي.

فهمت ارابيل قصده، فتنهدت تنهيدة خوف والم من جراء السور، واخبرت نفسها بأنه عندما تبدأ عواطفه اللاتينية بالملاطفة سوف تكون باردة كتمثال من حجر، ولكن عندما بدا لها مهدداً في الظلال شعرت بدمائها ترتفع وعرفت انها سوف تحاربه في كل لحظة من حياتها... وسوف يتمتع بذلك، كان ما زال مصارعاً في الصميم، ولم يربح احد معاركه ابداً دون ان يصاحب الاخطار، وربما ارادها بتلك الطريقة وربما يحمل الفلسفة التي تقول بأنك تقترب قدر ما تجرؤ مع المرأة كما الثور.

اصبح قريباً الآن، يأسرها دون ان يلمسها، تعاركت عيناها معه وقال.

«ليس هناك من متعة مع امرأة اليفة... ولهذا اريدك ان الحياة بالنسبة لي هي لعبة حظ، ولقد عرفت بأن الزواج مني كان بالنسبة لك فرصة بين الشيطان والكلب، لم تبدو اي عروس شاحبة ويائسة مثلك، وكما قلت يا عزيزتي بأن ذلك حصل وكأن الشيطان اتى لك، نحن رجل وامرأة وانا لن اعيش حياة غير طبيعية كراهب ولن اتخذ كذلك عشقية لتشبع ما ترفضينه فيّ من اثارة».

«وماذا ستفعل».

تكلمت بعصبية.

«تغتصبني؟ انت تعرف ان ذلك ما سيحصل... فعل الاغتصاب».

ان هذه كلمات قاسية تصدر عن شفاه ناعمة... هل تفضلين ان امرح في وقت فراغي مع امرأة اخرى؟ تعالي، كوني هادئة، ارابيل، انا لست بطاغية ولا اريد ان اكون. هل اتركك في امسيات وارجع عند الفجر ورائحة امرأة اخرى تفوح من ثيابي؟ هل هذا ما تريدينه؟».

«اريد ان اترك وان لا اكون معك اطلاقاً».

دمعت عيناها واضافت.

«اذا ما كان لديك قلب فيجب ان تجعلني اذهب قبل ان نجعل من الحياة شقاء بيننا انا... انا اعتقدت ان للاسبان احساس بالشرف».

«بالحقيقة انهم يملكونه، وانا اعتقد بأن معظم رجال بلادي يوافقون على انني افعل الشيء الصواب بأخذي كزوجة امرأة اجنبية. وسوف يقولون بأنني اختطفتك من مصير هو اسوء من الموت... آه، دموع كبيرة، كما اللالىء تذوب في الخمرة. هل اعاملك كعبدة واجعلك تركعين على قدمي؟ ربما هذا ما تحتاجينه؟ ان تكوني فتاة صغيرة مع اب لم تملكه ابداً».

«اذهب الى الشيطان... لا اريد شفقتك اللعينة، انت مصنوع من الحديد».

«اذاً استغلي فرصتك».

اصبح صوته قاسياً واضاف.

«استطيع ان اكون لطيفاً معك، او قاسي، ولكن شيئاً واحداً لن اكونه وهو ان اكون شاحذاً لعطاء زوجتي، نحن نعرف، السنا كذلك بأنه لن يسرك ان ارجع من سرير امرأة اخرى، ان الرجل لا يشتري القطة ومن ثم يلتقط الفأرة بنفسه انه انت... انت ما اريد».

كانت يداه سريعتان، ولكن مثيرتان، قوته قاسية بينما رفعها وحملها بسهولة الى غرفة الجلوس ثم الى السرير الرئيسي، حيث الاضواء تنشر ضوءاً ناعماً وبدائياً، وبخطوات كالفهد بدأ

وكأنه سيأخذها الى السرير... ثم تخطاه، ليجعلها تقف على قدميها امام الخزانة المنحوتة، حيث امسكت انفاسها بصدمة مفاجأة.

ضحك منها وقرأ في عينها ما فكرت انه سيقوم به.

«تعالي».

فتح ابواب الخزانة..

«دعينا نختار ثوباً مناسبا لعروس الدي فونزو لترتديه على عشاء زفافها، لم يكن هناك اي وقت ومكان للعشاء عندما غادرنا فنزويلا، والليلة، الطاولة في الاسفل ستكون عامرة بافضل الاواني الفضية وسيكون هناك خمرة من مخزن القصر وكذلك فلامنغو لتسليتنا».

«هل ستختارين انت ارابيل، ام ستسمحين لي بذلك الامتياز البدائي».

«تفضل».

قالت ذلك وقلبها يضرب بقوة وما زالت فضولية تجاه ذلك السرير الحريري وما فكرته تجاهه.

«انت تدفع ثمن معظم الاشياء، وانت تعرف ما تحب».

«آه، ذلك شيء يتعلمه الرجل وهو يصارع حياته، وسوف يكون رجلاً محظوظاً اذا ما حصل على ما يحبه، آخ، هذا يبدو ثوب مناسب لعروس».

اخرج الدون ثوباً طويلاً ذو لون مخملي ازرق ياقوتي يلمع بقوة، بسيط جداً في اسلوبه، لعب بلمسته فوقع... وكأنه يلمسها، وابعدت نظرها ووجنتيها تشتعلان بحمرة الخجل.

«كما تريد سنيور».

جعلت صوتها مهذباً وبارداً واضافت.

«سوف ارتدي اي فستان تفضله».

«تعالي الا تحبين لون هذا الثوب، الا تجدين خياطته ساحرة ورقيقة، ستبدين جميلة في هذا الثوب».

هزت كتفيها بعدم اهتمام وقالت.

«انا كنت ارتديت بنطلون وبلوزة، ولكن انت السيد، الست كذلك؟».

«هل ستكونين متمردة دائماً؟».

القى بالثوب على السرير، اشارة ليذكرها بأنها اصبحت قريبة من ان تطرح هي ايضاً على السرير.

«انت تزوجتني، وكان يجب ان تحسب ان الامرأة الغير سعيدة تكون عنيدة».

«هل تريدين الاستمرار به، ان تكوني عنيدة وباردة مع كل شيء احاول فعله لك احب ان اضحك وان اجعلك تعرفين احاسيسك، ارابيل».

«ارجوك افعل ذلك، وبينما استعيد ذاكرتي، وعندها سوف اعرف بالضبط ما انت... انت تجعلني عصبية الى درجة الصراخ، البقاء معك يعني انتظار شيء مريع ليحصل! انت تخيفني، الا تعرف ذلك او تهتم له؟».

كانت ترتجف ثم وبصمت لا يطاق استدار ورجع الى غرفته، الاكبر الاكثر ترفاً بقيت ارابيل منزعجة لعدة لحظات ولم تستطع ان تقاوم عندما فكرت به وبرقعته السوداء.

«و الآن اشربي هذا، لا تذرفيه، يا طفلة.. دعيني اساعدك، يا الهي، انت مخلوقة عصبية».

شعرت به بقربها يرفع الكأس الى شفتيها، كان الشراب قوياً واجبرها على شربه كاملاً وقال:

«انت عدوة نفسك، ولست انا، لماذا تزوجتني؟ هل تعتقدين انني احب ذلك عندما اجعل الخوف الشيطاني يرتسم في عيناك، وكل ذلك لأن قرن الثور فتح وجهي وكلفني عين واحدة، هل انت مخلوقة من حليب وماء لا تستطيعين النظر الي دون ان تصبحي شاحبة».

«انها... انها ليست عينك فقط... انها اكثر من ذلك، انها

وكأنك تضع قناع فوق وجهك. . ويوما ما سوف ارى ما يقع وراء ذلك القناع وكل شيء نسيته سوف يدمج بقساوة. . . وسوف يكون الوقت متأخراً بالنسبة لي لكي. . . انا لن استطيع ان اكون ارابيل لينوكس بعد الآن، مع حياة خاصة بي، سوف تأخذ كل شيء مني».

«مثل اللص؟. . . وليس مثل عاشق. هذا هو كورتيز، اليس كذلك؟ لهذا انت ترتجفين، لأن هذا الرجل الذي يقتل الثيران اخذك كنزوة، وكل مرة يلمسك تتصورين بأن هناك دم في يديه، آه، انت تختبرين صبري».

وقف على قدميه وقال لها:

«ابقي هناك».

سار بعيداً وحدقت ارابيل في رأسه الداكن، حيث ضوء المصابيح تضرب بنورها على شعره حيث راح يلتقط كأسها المكسورة، لعن فجأة وكان هناك خيطاً من الدماء يرتسم على الجلد الأسمر ليده.

«الآن هناك دماء علي».

«يا صغيرتي الغبية».

«انا لست غبية».

«سوف اذهب واستعمل السونا القريبة من غرفتي، بعض البخار وقليلاً من التأمل ربما تفعل العجائب لرأرابيل المنحرفة. . . والآن الى اللقاء».

الفصل الثامن

كان قلب ارابيل يدق بينما كانت تأخذ طريقها الى الأسفل، ارتدت الثوب المخملي الياقوتي، وبمواجهة الصليب الذهبي، كان الصليب متروك على طاولة الملابس، وكانت السلسلة تصل الى صدرها. والآن عائلته بالتأكيد تنتظر هذا الاحتفال بزواجه. . . حتى ولو كان في قلوبهم شك في سعادة هذا النبيل مع فتاة غريبة.

وصلت الى اسفل الدرج، وتوقفت هناك، تجمع انفاسها واعصابها لكي تدخل الصالة حيث اصدقاء الدون وعائلته ينتظرونها وتلك اللاتينية الجميلة التي تقف في الزاوية تعتبر ارابيل منافسة لها.

كانت قادرة ان تشعر بجو القاعة المتوتر، وكانت مدركة لغيرة المرأة الاسبانية منها حيث قالت.

«انا ريغا مونتي ليغري. . . زوجي وكورتيز كانا مصارعين وانا كنت صديقة لعائلته منذ زمن طويل، ولم يتوقع احد منا ان يتزوج كورتيز من شقراء ولا بد ان اقول لك انه اذا ما كان مرحباً بك فلا يعني ذلك انك محبوبة».

www.elromancia.com

ليس هناك من داعي ان تعظي صديقة العائلة سنيورا مونتي ليغري».

كانت عائلته لا تحبها لانها كانت غريبة، ولهذه المرأة اسباب اخرى.

«اخبريني سنيورا، هل زوجك يعلم ما في قلبك بالنسبة لزواج الدون كورتيز».

امسكت المرأة انفاسها وقالت.

«الا تعرفين... الم يذكر كورتيز بأن اعز اصدقاءه قتل في حلقة منذ سنة؟».

«انني آسفة لسماع ذلك».

فهمت ارابيل الآن لماذا ترتدي المرأة ثوباً اسود طويلاً، ولكن ريغا كانت متعطشة لكورتيز منذ زمن طويل ولقد فتح موت زوجها امامها ابواب الامل بأن تكون لكورتيز ثانية.

ولكن ذلك لم يحصل، ففي فنزويلا، رأى فتاة اصغر وجميلة.

«من الافضل ان نذهب الى الصالة».

خطت ارابيل الى الصالة، وعندما كانت على وشك عبور ريغا، امتدت يد قاسية وامسكت بمعصمها وقالت.

«لن تستطيعي الاحتفاظ به».

قالتها بحقد وكانت رائحة عطرها وكراهيتها تحيط بارابيل واضافت.

«انت لا تملكين الاغواء، ولا قدرة المرأة اللاتينية على العاطفة، انه ليس رجلاً بارداً، ولكن هناك شيء جليدي يلفك، آنسة موفيت».

«لا تدعيني كذلك».

حاولت ان تهز يد ريغا واضافت.

«والآن ارجوك دعيني، قبل ان اصرخ لزوجي».

«اوه، انت بعينيك الزرقاوين! ان نصفك منوم، انت ضائعة في احلامك الطفولية، انت تركضين وراء رجالنا السمر، وبعدها

تجدين انك غير قادرة على انتزاع اقدامك من بينهم».

«اذا ما كنت امرأة حقيقية، فلماذا لم تخططي لكي تجعليه يتزوجك؟ كيف استطاع ان يقاوم سحرك اللاتيني ويختارني انا؟».

«لأنه كان يحمل عقدة الذنب، لهذا السبب تزوجك، لانه عرف بنفسه بأنه مسؤول عن موت روجيلو بطريقة ما، كانا دائماً متنافسين، ولقد اراد روجيلو ان يظهر للجميع بأنه جريء وفخور مثل كورتيز، ولقد اراد ان يسترد الستارة التي رماها كورتيز بعد معركة تلافيرا، وهكذا عندما قاتل روجيلو مرة ثانية اختار ثور من فصيلة مورا مثل الذي جرح كورتيز، ولقد عرفت ان زوجي ليس مناسباً ليعارك ثور مريع، وكذلك كورتيز، ولكنه لم يقم بأي محاولة لمنع روجيلو من منازلة الثور... يعرف كما انا اعرف اذا ما قتل الثور زوجي فسوف نكون انا وهو مع بعض بدون خوف، ولقد اثر على روجيلو كما فعلت الجماهير، ولكن بعد ان ضرب القدر زوجي ذهب كورتيز بعيداً وكأنه اصيب بنوبة صحيان ضمير، وانا تركت في يأس، كان ذلك انانية منه، مفاجأة قاسية، ولكن تلك هي طريقته بقي بعيداً، مسافراً واخيراً رجع الى الاندلس متزوج... منك».

توقفت ريغا قليلاً ثم اضافت.

«اخبريني ماذا يعني لك مصارع الثيران؟ هل تفهمين اي مغزى منه؟ بالطبع لا، ان ذلك مكتوب فوق وجههك الساذج ما تفكرينه بالمصارع ايتها الغبية الصغيرة وسيفترض الشخص انك غير مدركة انك تزوجت واحدا من اشجع وارقى المصارعين... ام انك لم تهتمي عندما عرفت بما جمعه من مال من جراء عمله».

«هل تهتمين بأنني تزوجت الدون من اجل ماله».

اصبحت ارابيل حرة من اصابع ريغا.

«لا استطيع ان اهتم كم هو غني، او فقير... ان لدي فقط سبب واحد لزواجي منه».

شعرت ارابيل بالضيق وهي تراقب شفاه المرأة التي تميل

بقساوة وتقول:

«الحب؟... ماذا تعرفين عن حب مصارع؟ انهم ليسوا مثل كل الرجال، انهم مثل مروضي النمور، او هؤلاء الذين يتسلقون الجبال، هل سبق لك ان رأيت كورتيز وهو يعمل؟».

«انا... لا، لقد تقابلنا بعد ان ترك مصارعة الثيران».

«اذاً كيف تقولين انك تحبينه، ذلك ما تعنينه، عندما قلت ان لك سبب واحد للزواج منه؟ لقد سحرك، انك تحسبين فكرة الخطر المغروسة فيه، ولكن هل سبق ان رأيته في العمل بينما انت تغلقين عينيك وترتجفين».

لمع شعر ريفا مثل الحرير الأسود، تلك الشعلة التي تحملها لابد انها كونته... هل هذا صحيح، تعجبت ارابيل، ان شعور من الذنب ابقاه اسبانيا اصيلاً بحيث تمنع عن السير مع ارملة صديقة ومجاراتها في حبها وقالت ريفا:

«لقد عرفت كورتيز قبل ان يترك المصارعة... قبل ان يتذوق المذاق التافه لخمرة الأميركيات. انهم يرمون الورود على قدميه عندما يمشي في شوارع سفيل، مدريد، او اي مكان في اسبانيا او جنوب اميركا او المكسيك. وعندما يموت ورأسه مغطى وسيف مثل نبال في يديه، اتدرين، انت ترتجفين عندما تتخيلين هذه الصورة».

ضحكت ريفا ضحكة عالية وأضافت:

«ماذا تستطيعين ان تقدمي له، لأنه سريعاً سيجد الملل، انت مثل الأرز والشراب في فم رجل يفضل البهارات الحارة، لقد قرر ان يضع سياج بيننا، ولكن انظري ما اختار، فتاة سخيفة في ثوب ازرق، تضع الصليب خاصته وتحمل كل التدين البارد لراهبة، لن تبقين مثل سياج بيننا لوقتٍ طويل، يا ذات العينين الزرقاوين، وانا انوي ان ابعدك عن طريقي».

وبينما قالت ذلك استدارت ريفا بحركة سريعة ناحية الصورة الرجولية النحيلة التي ظهرت فجأة تعبر ناحيتهم.

«آه، خوان، انت تبحث عنا اليس كذلك؟».

ضحكت ريفا ضحكة امتزجت بالسحر واضافت:

«كم تبدو وسيماً يا عزيزي، ابقى بعيداً، والا ستجد زوجة ابن خالك تقع في حبك».

ضحكت ومشت ناحية الصالة، حيث تصدر اصوات اسبانية مختلطة، وبدوا اقرباؤه اصدقاءه، وجيرانه، يحتفلون بعودته من الأماكن البعيدة... غير متوقعين زواجه من غريبة.

«ارسلني كورتيز لاحضرك».

«لا استطيع خوان».

تعلقت في ذراعيه بخوف، غير مرتاحة للأصوات التي تنتظر رؤيتها، لتقييمها.

«لا استطيع ان اواجه ذلك خوان، ارجوك قدم لهم اعذار... قل لهم اني لست بخير، كورتيز سيفهم... بالتأكيد؟».

«سوف يصبح كورتيز ثائراً».

اجاب خوان وهو ينظر الى الصالة ويعبس وأضاف:

«ماذا قالت لك، امرأة المونتي ليغري، هل كانت غير لطيفة؟ ولهذا السبب لا تريدين حضور الحفلة».

كان المشهد مع ريفا مريعاً، لامرأتين تتناقشان على رجل واحد مثير، كانت ارابيل مستعدة ان تدفع حياتها كي لا ترى الدون ثانية، ولكن كيف ستتجنبه وهي يجب ان تسير ناحية غرفة اللاتينيين ويتولى خوان تعريفهم بها.

«تعالي، انت رفيقتي، ولا يوجد شيء لتخافي منه».

«لقد قلت ذلك يا خوان، بأن زوجي سيكون ثائراً معي اذا ما هربت من الحفلة مثل ارنب».

«انني اتساءل فقد ذكرت السيدة ريفا اشياء عن ابن خالك... هل تعرف اذا ما كانا عاشقين؟».

«كان ذلك في الماضي، المصارعين، كما تعرفين... الخطر يجعلهم مثيرين لكل انواع النساء».

«حتى النساء المتزوجات، لقد اخبرتني بأن زوجها قتل في مصارعة الثيران والتي كان باستطاعة كورتيز منعها... ولدي شعور بأنه لم يحاول ان يمنع او يقنع روجيلو على امل في انه ربما... يموت، وبعد ذلك تعارك مع ضميره و... وتركها لكي يتزوجني، هل هذا ممكن؟ هل ممكن ان يفعل شيئاً كهذا؟ انه قاسي... اليس كذلك؟».

«اعتقد ذلك... ماذا تتوقعين من رجل كمركزه، انه يتعلم القواعد والخدع من الحياة، ولكن ذلك كله في الماضي. انت المرأة التي تزوجها ويجب ان تكوني مدركة بأن اتحاد المرأة والرجل في اسبانيا امر جاد لا ينقطع. مهما كانت ريفا تعني له، ونحن نعرف بأن هناك كلام عن امرأة معينة في تلافيرا لها اهمية في عيون الدون، وقد وجدك والآن يريد ان يقدمك لاصدقاءه».

«مثل حلية يضيفها الى مجموعته من السيوف، والميداليات، انني ارتجف، خوان انني ارجوك ان تساعدني».

«ولكنني لا ارى سبباً لذلك، ارابيل، تبدين شاحبة، ولكنك لست على وشك السقوط، هل انت كذلك؟ انت جميلة كالأزهار شجرة الأجراس الذهبية سوف يعجبون بك، ولن تكون كل النسوة سعيدة».

بالنسبة لخوان كان كورتيز ابن خالته الأكبر، وسيد هذه الأرض. صنع نفسه بنفسه، ومهما فعل فهو مثال بالنسبة لعائلته، الذين ينظرون اليه ليس فقط كبطل بل كرجل كريم يقدرهم ويساعدهم. كان على ارابيل ان تستسلم لفكرة انها ملك الدون وعليها ان تشعر بالفخر. لمست الصليب المرصع، وكأنه يعطيها الشجاعة حيث قالت:

«حسناً، دعنا نذهب ونواجه الأسود».

كان الدون كورتيز يجلس على رأس المجموعة تحت اضواء الشمعدانات الذهبية. كان وجهه يبدو لها من جانبه بحيث لم تستطيع ان ترى الرقعة السوداء على جانب وجهه الأيسر، رأت

فقط فكه القاسي، انفه وذقنه. كان شعره الأسود مسرحاً بطريقة خبيرة وتحت جاكيتته صدرية ذات قماش ثمين، قميص من الكريم وبنطال مثير. رفع كأس الخمرة الى شفتيه وهو ثاقب النظر.

نظرت الى اسفل الغرفة، صامتة في ثوبها الأزرق الحريري، وبدأت العيون تنظر اليها، وانتظر الدون بالهدوء الذي لابد اكتسبه من المصارعة عندما يشعر باقتراب الثور منه، ينتظر بأعصاب وجسد عندما يواجه قرنا الثور.

استدار ببطء لينظر اليها عندما وصلت الى جانبه، ورأت التحدي في حاجباه والسخرية في فمه، ان تدريب وغريزة المصارع جعلته قادر على التيقظ، وعرف ما تفكر به ارابيل عندما انحنى قربها، وبعدها امسكها عندما شعر بها تريد الفرار منه وقرب يدها من شفتيه وقال:

«لقد بدأنا نفكر انك لا تريدين الانضمام الينا، يا حبيبتي، كما شرحت انا للجميع، ارابيل، انت خجولة وسوف تأخذين وقتك لتعتادي على الوجوه الجديدة، حسناً، يا اصدقائي».

سحبها الى جانبه وشعرت بيده تضغط على معصمها وأضاف:

«ها هي الفتاة التي لم استطيع مقاومة احضارها الى سان دي ڤيلا، هل تلوموني؟

كان هناك ضحك واقترب عدة اشخاص منها، يعبرون عن فرحهم بلقاءها، وقدم لها شخص ما كأس من الخمرة.

كان الدون يحدق في ارابيل بينما امرأة اخرى كانت تراقبه بعينان نهمتين وكان وجهه منحوتاً وكأنه يطرد ما يفكر به ويراه في عينا ريفا.

«اشربي».

اطاعته ارابيل وشعرت برغبة في ان ترمي الشراب في وجه عشيقته، التفت ذراعين حول كوعها ووجدت نفسها تقاد الى صالة العشاء حيث طاولة بيضاوية طويلة تلمع بالفضة والكريستال، وكان

هناك شذا زهور القرنفل، وكانت موضوعة على جانب زوجها الأيمن حيث جلست خالته على الجانب الأيسر... وتساءلت ارابيل هل يا ترى يقلقه رؤيتها لعينيه المجروحة والعمياء شيء مخيف.

كانت ارابيل تشعر بعينا ريفا عليها، وعندما انتهت من الوجبة وكانت على وشك تناول قطعة من قالب زفافها شعرت فجأة بالغثيان والضيق، القى الدون نظرة حادة عليها، ويرى كعادته اكثر بعينه الوحيدة مما يراه الآخرون حيث وقف على قدميه قائلاً:

«اصدقائي، اعتقد بأننا يجب ان نذهب الآن الى القاعة الأخرى لنتمتع بالفلامنغو، انها ليلة هادئة، واعتقد ايتها السيدات ستكونون دافئات بثيابكن، تعالوا».

ابعدت الكراسي عن الطاولة وكان هناك حركة عادية تجاه القنطرة التي تقود الى القاعة الأخرى، لم تحدق ارابيل في زوجها، ولكنها كانت ممنونة في انه انهى العشاء اخيراً، وهناك ربمالا تكون نقطة اهتمامهم.. وربما تستطيع الفرار، وتترك هؤلاء اللاتينيون يستمتعون بالغناء الغريب، مثل الصدى الذي يأتي من الصحراء المغربية.

حدقت ارابيل حولها، وارتجفت قليلاً، عرفت شذا الأزهار وكان هناك شيئاً مألوفاً في نبض الغيتار وطقطقته، طقطقة هذه الصنوج على اصابع الفتاة الغجرية في ثوبها القرمزي.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تقف فيها بين الأزهار والأشجار في حديقة اسبانية وتصغي الى الموسيقى في الليل التي كانت نارية مثيرة، ومليئة بالحنين.

اي لمسة ايقظتها فيها الحالة ان تكون جزء من شخص، حيث تجد لحياتها معنى السعادة... هل وجدتها؟، فقط لتجدها وقد سحبت لتقف قرب الأسباني الذي يقف تحت اغصان شجرة العرعر.

رفع الدون كورتيز السيجار الى شفتيه وأومأ للشخص الاسباني

الذي كان يحادثه، ماذا كانا يتناقشان... المصارعة الأخيرة، ام الرضا الذي حصلوا عليه بكونهم اصبحوا الواحد للآخر.

لا... كانت ارابيل تبحث حولها عن وسائل للهرب، عندما ظهرت ريفا بالمخمل الأسود تحت احدى القناطر المغربية المنحوتة. كانت تحمل شيئاً في يدها اليمنى وتكلمت في هدوء مفاجيء قائلة:

«ان لدي احتفال صغير لانجزه».

كان صوتها يطلب الانتباه وتوقف الكل ليصغي اليها وأضافت:

«كان صوتها يطلب الانتباه وتوقف الكل ليصغي اليها وأضافت:

«ان لدي هدية عرس للعروس الشابة، والتي ستعتبرونها بالتأكيد ملائمة للمناسبة ارابيل».

رفعت الغرض الذي كانت تحمله ببطء وأضافت:

«اتمنى ان يعجبك ذلك، لم استطع ان اعرف ماذا اشتري لك، ثم قلت انك ربما تحبين الحيوانات... السئم كذلك؟ انتم الأجانب... وهكذا انا اخترت هذه».

كانت الهدية قفص مزخرف، وكان فيه زوج من العصافير الرقيقة الملونة، وقد ايقظتهم اضواء الفوانيس وبدؤا يطيرون، حدقت ارابيل في حيرة في القفص، وبعد لحظات اصبح في يدها وشعرت بنظرات ريفا القاسية التي قالت:

«الن تشكريني؟».

«كيف تجرؤين!».

خرجت الكلمات من شفاه ارابيل مثل صرخة وقالت:

«انت تعرفين انني اكره هكذا اشياء... عصافير صغيرة عالقة هكذا، انظري انهم يضربون بأجنحتهم ويؤذون انفسهم».

عرفت ارابيل شيئاً واحداً، وهو ان تطلق سراح العصافير، حملت ارابيل القفص ومشت بعيداً الى البرج العالي، من هناك تستطيع اطلاقهم حيث باستطاعتهم الاختباء بين الأشجار.

«ارابيل».

كان الصوت صاعقاً ورائها، ولكنها استمرت في الركض، الى البرج المغربي، غردت العصافير عندما اطلقت، وشعرت بالكره لهذه المرأة الخبيثة التي شبهت هذه العصافير بأرابيل المسجونة داخل قضبان القصر.

عالياً، عالياً، ورائها اقدام الدون كورتيز المتعقبة، وثانية تكلم، يرجع الصدى في السلالم الحلزونية وقال:

«ابقي حيث انت ارابيل، لا تتقدمي اكثر... ان شرفة البرج غير آمنة. سمعته ورائها رأت السماء الداكنة، كان عليها ان تطلق سراحهم.

«طيروا، طيروا بعيداً».

«انت تلاحظين بأن هذه الشرفة ممكن ان تقع بك في اي لحظة».

كان باستطاعة ارابيل ان تتصور غضبه فقالت:

«ماذا اذاً؟».

قالت بتهور مضيفة:

«ان عشيقتك الحقودة هي التي تلام اذا ما سقطت... لماذا بحق الجحيم تزوجتني عندما كانت هي تنتظر هنا لترتمي بين ذراعيك».

«ارابيل، تعالي الآن، تقدمي بحرص وخذي بيدي...».

علقت ارابيل القفص الخالي على قضيب حديدي وراقبته يقع على ساحة القصر، حيث الضيوف هناك ينظرون اليها قال الدون بقساوة:

«لن يكون هناك مهاترات اذا ما تركت الشرفة ارابيل، هل اتقدم منك ونجعل الشرفة تهبط حيث نطمر انا وانت تحت الحجارة؟ فكري بعقلك في خلال دقيقة سأقترب منك».

«انت لا تستطيع ان تقاوم البطولة، الست كذلك؟ انا لا اريد ان اكون مسؤولة عن سقطة البطل هذه، وسوف اتقدم... اذا ما وعدتني بشيء».

«ما هو نوع الوعد».

قالت ذلك له وكأنه يواجه لحظة حقيقة في الحلبة حيث قالت:

«الوعد هو ان لا تلح بأن تكون زوجي».

«لقد سبق ان اخبرتك، زواجنا قاطع في نظر الكنيسة».

«انت تعرف تماماً ماذا اعني، سنيور».

وقفت هناك تشعر بالاهتزاز تحت اقدامها من جراء حركتها واضافت:

«اعرف انك لن تطلقني، ولكن اذا ما اصريت ان ابقى في سان دي ڤيلا فأنا اريد على الأقل حريتي في... غرفة نومي، يجب ان تمنحني ذلك».

«انت تقومين بشروط مع مقامر ارابيل».

ابعدت ارابيل شعرها وشعرت بوزن الحجارة المهتزة، اذا ما حاول التقاطها من الشرفة فربما تسقط وسيدفنا مع بعض... وعرفت غريزياً بأنه سيتقدم منها بعد قليل، ليقبض عليها بذراعيه ويتحدى آلهة الحظ.

رطبت شفتيها بلسانها وخطت ناحيته... وشعرت بالشرفة تهتز وقلبها يضرب بقوة.

«خطوة اخرى، ثم اخرى».

قال ذلك واصبح صوته منخفضاً، وكأنه خائف من ان قوة صوته ربما تزيد من خطر الشرفة، عرفت انه يمد لها يده، حيث تريد لمس اللمعان الغريب والشاحب لخاتم زواجه عندما سيسحبها ويجعلها تشعر بالأمان بين ذراعيه.

«لا... لا اعتقد انني استطيع ان اتحرك... انت محق بأنني غبية».

«تعالي، يا عزيزتي، خطوتين بعد وسوف تصلين تعالي».

«انا...».

اغلقت عينيها، ربما تنجح اذا ما اغلقت عينيها.

«ارابيل، انا اعدك بما تريدين، هل ذلك يساعدك بطريقة

ما؟».

«ابقى هناك... انا قادمة...».

وعندما وصلت، وشعرت بالأرض الصلبة ثانية، لم تشعر بذراعي الدون عندما انغلقت حولها وحملتها الى ارض القصر. استلقت برأسها على كتفيه، وشعرها الأشقر على بدلته الداكنة، كان وجهه مقطباً بينما كان يقول للجميع:

«اذهبوا جميعاً»...

«قال بقساوة وأضاف:

«ان عشاء العرس انتهى».

الفصل الثامن

والآن ماذا، سألت ارابيل نفسها هذا السؤال في الأيام التالية، ومهما كان الجواب، هذا الفراغ اتاح لها الفرصة لتتجول في القصر وتجده قصراً غامضاً ...

كان ضوء الشمس يدهشها بنوره الساطع، واكتشفت انها تحب الجو المتأجج، وحفرت كل شيء في صور... الثيران العظيمة في السهول، والسماء مثل سقف مرسوم.

في اوقات عدة كانت تذهب مع خالة الدون الى حانة القرية وبحضور لاز وكان هناك نوافير رئيسية حيث ما زالت بعض النساء تجمع المياه في جرار مختلفة الأشكال. كانت الحوانيت مثل الكهوف، عطرية ومليئة بعدة انواع الأطعمة والتي رفعت من معنوياتها لشراء اكثرها.

كان الدون كريماً بمحفظته المليئة بالنقود وكانوا قادرين على شراء الحلوى الشرقية ويجلسون في اي مطعم يريدون.

كان ذلك وكأنها اصبحت فتاة مدرسة ثانية، لقد قال لها الدون انها ترعرعت في ميتم، ولكنها احست بأنها لم تكن تعيسة هناك، ولقد دخلت العاطفة حياتها فيما بعد، هناك في فنزويلا، بلد

www.elromancia.com

لاتيني يفسر لماذا احيانا تشتم رائحة، وتستمع موسيقى او تأكل شيئاً ربما مألوفاً لديها.

كانت هذه الومضات في اليقظة تجعل حياتها اكثر تحملاً، كانت هذه ومضات الأمل بأنها ستيقظ ذات يوم وهي مستعيدة لكامل ذاكرتها، وكذلك بخصوص الرجا الذي تزوجها.

في هذه الأثناء اصبحت تعرف عادات الأندلس، والأشخاص الذين وجدتهم لطفاء، وخرافيين، ولقد اخبرتها لاز انهم اشخاص ناريين، شعب شهواني دون ان تبرز الفتيات اقدامها في تنانير قصيرة. ما يمكن لمسه، يمكن ان يطال بمدة ساعة كما يقولون.

انسحرت ارابيل بروعة وغموض الجنوب، ووجدت نفسها تدريجياً نحو القصر القديم، المبني من حجارة قديمة تقاوم حرارة شمس ورياح الجنوب.

انهم يعرفون الآن، بأن الدون ينام وحيداً في غرفة نومه، ولا يزور زوجته حيث تنام.

شعرت بأن كورتيز لا يحب ذلك بأن علاقتهم الغير طبيعية لا تحفظ كسر عن عائلته والخدم لديه. كان فخوراً جداً، ولاتيني اصيل، واكثر من مرة كان العبوس يرتسم على وجهه عندما يتناولون عشائهم، او عندما يدخل الغرفة حيث تكون ارابيل مسترسلة في احاديث مع خالته وابنائها، او تأخذ دروس الغيتار من هيلاريو لوبيز الذي يعمل معه في المصارعة واصبح الآن مساعده في تربية سلالة الثيران.

عرفت ارابيل بأن الغضب يحتل كورتيزوتساءلت عن مدى صبره ليتحمل تنفيذ وعده ليدعها تعيش هنا كزوجة له بالاسم فقط، وفي الليل كانت تعرف انه يزرع الممر مشياً مثل اسد هائج، وكانت تقف هادئة على شرفتها وتصغي الى صوت حذائه على ارض الساحة الحجرية. وشعره الأسود مشعث فوق رأسه وهو راجع من قيادته عبر حقول ومراعي القصر.

هو كورتيز الذي فونزو، المصارع الغالب دائماً، قيد نفسه

بوعد، ومثل هذا الشيء لم يحصل له قبلا وعرفت ارابيل انه في احدى هذه الليالي سوف ينفجر، وسوف تجد نفسها في مواجهة هذا الغضب الحارق، هنا في هذه الغرفة حيث الأضواء ترسم ظلال مختلفة على السقف المنحوت.

بدأت تخاف من الليالي، حيث لم يكن هناك اي مفاتيح لأقفال الغرفة، ولمع ضوء على نصل سيف توليدو المعلق على الجدار. رفعت نفسها على كوعها وحدقت في السيف، كان نصله رقيقاً لامعاً ويبدو قاسياً، وشعرت بالخوف منه كما خافت من الرجل الذي يملكه. فجأة اصبح ذلك الخوف تحدياً، كان من الغباء ان تخاف من شيء ميت، وكأن الروح ستسكنه وتؤذيها. فقط في ايدي الدون كورتيز كان قاسياً، ولسبب غريب، تركت ارابيل السرير وسرت في الغرفة، وسمحت لاصابعها بأن تمرر على السيف، وتحركت في رأسها صورة مهددة ترتدي الأسود والفضي، رفعت السيف من مكانه وشعرت بثقله بين يديها وفي خيابها بدت الصورة وكأنها تقترب اكثر... فكري، أوه، فكري، كانت تحث نفسها، كان هناك شيء ما هنا قريباً من ان تتذكره، وحدقت في لمعان النصل في ضوء المصابيح، ارادت ان تمزق بواسطته الستار الغامض الذي يخفي سبب تقلصها وكرهها للرجل الذي تزوجها.

ماذا فعل لكي يجعلها تشعر بالانزعاج من وجوده؟ لماذا تشعر بهذا الأحساس بأنها مسكونة بأحداث مخيفة والتي جعلها جزء منها؟ لماذا تزوجها عندما عرف بأن لديها اسبابها لتكرهه، ربط نفسه بها في زواج لاتيني حيث لم يكن هناك اي سهولة في الانفصال؟.

هل تزوجها لكي يعاقبها، عندما عرف بأنها كانت معتقلة في احدى السجون الفنزولية؟.

امسكت بالسيف وتمنت ان يحررها من ضياعها.

«اذا ما كنت حريصة بهذا السيف فسوف تقطعين اصبعاً او

اثنين».

صدر الصوت من ورائها وهو يضيف.

«انه سيف توليدو حاد مثل الشعلة... ماذا تفعلين به، تخططين لقتلي؟».

شعرت ارابيل بالثورة للحظات ثم ارخت قبضتها على السيف الذي تركته تقدم منها والتقطه وكان حاجباه داكنان بشدة حيث قال:

«ان هذه الأشياء تصبح خطيرة عندما لا تحمل بحرص. اذا ما قلت انك مهتمة فسوف اريك طريقة الامساك به».

«جميل، اليس كذلك؟».

«كيف تقتل به سنيور».

«ان السيف الخاص لا استعمله ابداً في الحلبة، لقد قدم الي كهدية من شخص اقدره كثيراً، لقد ابتاعه هذا الشخص من حانوت للانتيكا في سيفيل وصقله وجعله رائع وكأنه جديد. انني اعتبره ككنز، وآمل ان لا تأخذني فكرة سوداء من جراء مشاهدته».

«مثل جوال التي ذبحت المحارب بينما كان نائماً».

وحالاً جعلها تحترق من جراء حالتها النصف عارية، وشعرت بغريزتها تحثها على الركض نحو السرير... عدا انه ربما يأخذ ذلك كقبول لتحديه. حدقت حولها تبحث عن الروب ورأت قرب السرير على السجادة، ذهبت لتلتقطه عندما كان يستدير بعد ان علق السيف على الجدار.

«لقد احضرت لك شيئاً... آه، انه في العلبة، لقد كنت حائراً بالنسبة لذوقك، يا عزيزتي، تدرسين سيفي وكأنه يحمل مغزى هام لك، الى درجة نسيت الهدية التي احضرتها، اخلعي روبك».

«لن افعل شيئاً كهذا».

اشتعلت النيران في وجنتيها وشدت حزام روبها بقوة مضيفة:

«لا تقعتد انك تستطيع شرائي».

«لم اعتقد للحظة انك يمكن ان يتم شرائك».

قال ذلك وفتح الصندوق والأوراق وسحب روب ابيض من الحرير الأصلي حيث قال:

«لقد رأيت هذا في احدى الحوانيت لدرجة انني لم استطع مقاومة شرائه، تعالي، انزعي روبك، ودعيني اراك كيف يبدو عليك».

«انني افضل الروب خاصتي».

«لماذا تريدين الظهور كالمرأة وتتصرفين كطفلة؟».

بدأ يقترب منها وهو يحمل الروب الحريري حيث قال:

«هل تعتقدين ان لدي دافع خفي من وراء احضاري للروب؟ الهذا تنظرين الي بعينان واسعتان خائفتان».

«انا... انا متيقظة تماماً. سنيور، بأنك لا تحب ان يعرف احد بما بيننا، ولكنك وعدتني واذا ما كسرت وعدك...».

«ماذا سأكون حينها».

اصبح قريباً منها، يراقب شعرها الذهبي وأضاف:

«هل سيكون رأيك بي اسود مما هو الآن؟ مهما فعلت فأنا مدان من قبلك، حتى وان اردت ان ارى مظهرك بهذا الروب، تعالي استرخي وحاولي ان تفكري بأنني شخص آخر مثل خوان».

«هل كنت ابداً لطيفاً؟ سنيور، انت تبرز على العالم مثل... ذلك السيف، ربما فيما مضى كنت مثل خوان، انه لطيف، ولكن انت... انت قاس. هل اعتقدت حقاً اننا يمكن ان نعيش كشخصين عاديين؟ ان خدمك متسامحون معي، ولكنهم يشعرون فيما يخص عقلي، ولكن لاز لا حظت انني لا اعرف شيء عنك، اللعنة عليك، على احضاري لي الى هنا! ان ذلك غير مسلي».

«انت تحتاجين لمنزل يا عزيزتي وأنا امنته لك، انت احتجت للحماية...».

«منك، انا احتاج ان احتمي منك وليس بك، انا لن ارتدي هذا الشيء، لذا خذه بعيداً، قدمه لعشيقتك، انا اكيدة انها تقدر

ذلك».

«اذا ما كنت تشيرين الى السنيورا مونتي ليغري، فدعيني اخبرك شيئاً...».

مال نحو ارابيل ووضع الروب على احدى يديه ليتمكن من امساكها، عندما حاولت الفرارا منه حيث قال:

«ريفا هي زوجة صديق لي، وانا لا اغوي هكذا امرأة، انني اتمتع برفقتها مثلما افعل مع روجيلو، وهكذا كل شيء.

«لم يكن هذا ما اجبرتني به... لقد قالت انك اردت زوجها بعيداً عن طريقك لكي تتمكنا من الزواج، ما هو الشيء الذي اوقف ذلك، كورتيز؟ هل كانت صحوة الضمير لأنك لم تمنعه من مصارعة الثور».

«لا تتكلمي بطفولية، وكان على المصارع ان ينصح صديقه، لا تصارع هذا الثور يا صديقي، لقد كان ذلك من شأن روجيلو اذا ما اراد ان يصارع ثور قاتل، وانا... انا لدي اعمال اخرى تحتاج انتباهي، انا لست حافظاً لأحد، ارابيل، فقط حافظاً لك».

«حافظي، انت وعدتني..».

«بحق السماء لاتذكري هذا الوعد! معك، دعيني اخبرك، لقد كنت لطيفاً معك بالنسبة لأي فتاة اخرى عرفتها، النساء الحقيقيات هم مثل عرض قوة، ولكنك تصرين في عقلك على انني سجانك، لقد اصبح صبري قليلاً ارابيل، وسوف ينفجر اذا ما اخبرتني ثانية ان اذهب لعشيقتي واقدم لها الأشياء التي تخصك، والآن ضعي هذا الروب».

وبنفاذ صبر ووحشية نزع روبها ورماه على الأرض، ثم لامست يداه جسدها وشعرت بقوته ورجولته، ارتجفت بينما يداه تمران على عامودها الفقري. ضربت حرارة يده جسدها بينما يده الأخرى تطوق خصرها واصبحت سجينة الكيمونو الأسود الذي يرتديه، وغريزياً عرفت ان هذا هو كل ما يرتديه وتحته مباشرة هناك جسده المثير والقاسي.

اصابها الرعب وهي تتحرك بين ذراعيه لتتحرر، قربها من السرير وكان وجهه داكناً فوقها، نحيف ويعبر عن العاطفة التي يحملها والتي يريد اظهارها، بشفاهه فوق شفتيها واصبحت مدفونة في نعومة السرير.

ارتعشت، وقوست نفسها، وحثت قدميها على الهروب مما سيحدث... لقد جعلها تستسلم، الفم الحار المثير واليدان اللتين عليها راحتا ترفعان من تجاوبها وراح يهمس كلمات في اذنيها، كلمات هي مزيج من المغربية والاسبانية، مزيج متوحش من العاطفة والشعر، وتنقيب جسدها والذي كان مزيجاً من المقاومة والاستجابة المثيرة.

لا، وشعرت بالاستجابة التي قدمتها روحها... عضلات قاسية، جلد مثل الحرير، وأصابع تغوص بين شعرها حيث قالت:

«اكرهك».

«تكرهيني..».

قال ذلك وهو يتنفس، ووجهه مدفون في ثنايا شعرها وأضاف:

«في هذه اللحظة انا لا اهتم، يا عزيزتي».

«انا... انا اريدك في الجنة، كورتيز...».

«ربما».

ضمها بنعومة وأضاف:

«ولكن في هذه اللحظة انا في الجنة».

دخل ضوء الشمس الى الغرفة، ادارت ارابيل وجهها وسرى الدفء في كتفيها، لم يكن هناك اي طريقة لايقافه، كانت تعمل من نفسها لوح جليد، لوح جليد بين ذراعيه.

المصارع، اخبرتها نفسها، يعرف تماماً اين يضع قبلة الستيل في قلب الثور. وبدأت تقول... باستطاعتي ان اقتله، اقتله، ليس لديه اي حق... عدا على كونه له كل الحق زوجها، ان يأخذ منها كل شيء يريده.

فليأخذه الشيطان، لن يكون هناك هروب منه، فهو يريد ابناً

لاحقاً، هذا الانتشار الواسع للأراضي والقصر حيث يمتلكه الدون وربحه من مصارعاته حيث كان الموت ينتظره على الطرف الآخر، كل شجرة وحجر كان له كلياً... مثلما هي كانت له في الليالي الوحشية الجميلة الاسبانية.

وبنوع من اللطافة والرغبة اصبح يمتلك تجاوبها كلياً، يتركها هذا الصباح وبضع علامات شاحبة على جسدها، وشفاه ملتهبة، وبنوع من الدهشة بأن ما تشعر به الفتيات يمكن ان يكون... طبيعياً وليس مذلة وقذارة.

استلقت ارابيل وفكرت في الطريقة التي امتلكها بها... لماذا حصل هذا الشيء بهذه الطريقة؟ هل من الممكن انها لم تكن عذراء وقد كانت مع رجل قبل ان تعرف كورتيز؟.

تعلقت يد في قلبها وشعرت بالنيران لأنها فكرت انها ممكن ان تكون من نوع الفتيات الرخيصات... انها لم تخاف من غضب الدون، ولكنها لم تحب الفكرة بأنها عندما عملت في فنزويلا لم تكن حياتها ذات حشمة... الشخص الوحيد الذي سيعرف بالتأكيد هو الدون كورتيز، واستلقت هناك ولم تريد ان تفكر بالمستقبل، عندما ستراه وجهاً لوجه. ماذا سترى، ابتسامة فرح تتراقص فوق فمه، او غضب بارد لأنه له زوجة سمحت لرجل غيره ان يلمسها أولاً.

كيف سيكون قلبه الاسباني هذا، وكيف سيجد كبرياءه الاسباني طريقة لمعاقبتها. وارتجفت فجأة عندما تكلم وراءها واصبح قريباً من السرير بينما كانت خائفة في افكارها المضطربة.

«قهوة؟».

«تستطيع ان تترك الفنجان على جانب السرير، فأنا لن اجلس الآن».

«الست كذلك؟».

سمعته يضحك بنعومة لنفسه، ووضع القهوة على الطاولة، ولكنه لم يغادر الغرفة، وتمنت ان يفعل، واصبح امام نظرها عندما

التقط شيئاً على الأرض وقال:

«لقد حان الوقت الذي نستطيع الافادة من هذا».

ارتعشت ارابيل ورفعت نفسها وسمحت له بأن يساعدها في ارتداء الروب والذي وضعه حولها بنعومة وقال:

«والآن هل انت بخير».

ادارت نفسها واصبحت تواجهه، تفحصت وجهه بينما كانت تصل الى الفنجان وتتذكر الليلة الماضية، هل كان هناك عاطفة في الليلة الماضية.

ابتسم فجأة وسألها:

«كيف حالك؟ انت تبدين قطعة واحدة... شعرك، مثل الذهب، وذلك الجلد هل انا وسمتك؟ هل اذيتك؟».

تقلصت عضلات معدتها وقالت:

«عليك ان تعرف ذلك، انت اكثر خبرة مني، الست كذلك».

«طبعاً».

جلس على طرف السرير وراقبها بحدة وقال:

«انت تكرهيني لاجبارك، اليس كذلك؟ ولكنني رجل، يا عزيزتي، ولست دمية، ولا اعتقد بأن الذي حصل كان غير مرضياً لك».

«انا أكيدة ان حكمك على النساء هو ذو خبرة كما حكمك على الثيران».

«بعض الثيران، بالنسبة لي جزء من لعبتي فأنا احببت ما كان بين يدي الليلة الماضية ولم اكن اريد تحطيم روحك، او ذلك الجسد الرقيق؟ قولي ان ذلك كان جيداً».

«سوف اكون غبية اذا ما قلت ذلك، لقد جعلتني... استسلم... ولكن هلا اخبرتني شيئاً».

«اي شيء تريدينه، جربيني».

«هل كنت... هل كنت فتاة لعوب؟».

كان من المريع ان تسأله هذا السؤال، ولكنها ارادت ان تعرف

وأضافت:

«انت تعرف ما حصل، سنيور ولكنني لا استطيع ان اتذكر ما هو شخصي بالنسبة لي وانا اعتقد... نعم، انا اكيدة انني عرفت شخصاً قبل ان اعرفك. انا اؤمن بأنني احببته، انت تعرف ذلك، ولهذا... انت اجبرتني».

جلس صامتاً للحظات. ورموشه الكثيفة تكاد تغطي عينيه. انه لم يأذيها.. لماذا لم يؤذيها الليلة الماضية.

مال فجأة نحوها وقال:

«تستطيعين ان تثقي بكلامي، لقد كنت طاهرة كما نقول نحن في اسبانيا، هل هذا ما يسبب لك هذا القلق».

«كيف تستطيع ان تكون... متأكداً؟».

عضت على شفتيها وقال الدون:

«لم يكن هناك جروح، اليس كذلك».

«لقد فكرت... انه من الممكن.....».

«ماذا فكرت من ناحيتي، يا عزيزتي، فأنا لدي مستوياتي، وانا لن اسيب اي اذى لشخص هو ملكي».

تحركت اصابعه حول جلدها الناعم حيث شعرت بتوتر، ثم اضاف:

«ربما بالنسبة الى رجل، ولمرة واحدة في حياته، لا يحتاج الى رادع من عقله. الذي يحطم امرأة من اجل ممارسة الحب معها للمرة الأولى، واذا ما ارادت ذلك ام لا. أن ذلك كان جميلاً، وهناك في عمق عينيك ضوء صغير، شرارة اكتشاف».

«وهذا يعطيك نصر، اليس كذلك سنيور، بأن لديك تحت جلدك حيل كازنوفا».

«هل كان سيسرك اكثر ارابيل، اذا ما كنت قد تركتك هذا الصباح في السرير امرأة محطمة، كشيء متروك على ارض المعركة؟ هل كان ذلك سيعطيك سبب لأن تكرهينني؟».

قربها منه عندما امسك بشعرها واضاف:

«هل كنت شعرت بالرضى بكرهي اذا ما استعملت معك القساوة بدلاً من الحب».

«انت... انت لا تحبني... انك تمتلكني، لقد قلت ذلك».

ضحك بنعومة وقال:

«مثير، عسل الحب الحار يا زوجتي الجميلة، اننا يمكن ان نرزق بطفل، اليس كذلك؟».

بدأ بتقبيلها، استدارت وأدارت رأسها لتتجنب فمه، وضحك بنعومة منها وشعرت بشفاهه في كل جسدها تنزع روبها الأبيض.

«اوه، ربما يأتي احد، لماذا لا يطرقون على الباب».

«لأنك يا عزيزتي من بلد لاتيني وبيت لاتيني ونحن لا نعتبر بها شيئاً مخجلاً».

كان فمه مثيراً لم تحلم به ابداً.

«كورتيز... ارجوك».

«انني احبك عندما تتوسلي يا عزيزتي، ومن سروري ان اسمع ذلك».

انه دافىء، رائع، وخلاب، وعضلات ظهره في مواجهة جلدها الذهبي حيث طعنات الثور بيضاء مثل العظام. ولم يكن هنا أي سمنة زائدة لديه، تحركت عضلاته تحت جلده الأسمر، وكان شعر صدره مثير وداكن في مواجهة جلدها الأبيض... لا، فكرت بكسل ان الرجال المتحضرون لا يفعلون هذا في وضح النهار، هذا لا يمكن ان يحصل... ولكنه كان يحصل، وكانت هي جزءاً منه، في القبضة الأكيدة لليدين القويتين اللتين رفعتاها الى ذلك الجسد القوي ذو الجروح وجعلها تعرفه، الغريب الذي كان زوجها... الشيطان الذي يحمل مفتاح لهذه الجنة الغير مرغوبة حيث كانت تتذكر الذي ربما يكون ضائعاً في ذاكرتها.

هذه هي الحقيقة الآن، وكان كورتيز يتأكد من انها تشاركه المستقبل، تعلقت يداها بكتفيه، وعيناها الواسعتان خاطبت عيناه حيث قال كورتيز:

«ما الأمر؟ قولي لي، يا عزيزتي، لا اعتقد انني احب ذلك الآن عندما تبدين كملاك بين ذراعي».

«انت... انت تبدو مثل قرصان».

«يا عزيزتي، الآلهة تعرف انني أعبد ما هو لي».

«لي»... قال كلمته الأخيرة وهي يقبل عنقها حيث اضاف:

«قريباً سوف يكون الاحتفال، وسوف نذهب ونحصل على مباركة القديس بزفافنا، هل يفرحك ذلك؟».

«هل يهم ما افرح به؟».

كانت تقع جروح ظهره تحت اصابعها مباشرة، وامسكت انفاسها عندما تذكرت الآلام المبرحة لهذه الجروح، والتحدي المتهور الذي قاده الى ذلك حتى ذلك القتال الأخير في تلافيرا وأضافت:

«انا اشك اذا ما كان باستطاعتي مشاركتك في ما تتمتع؟».

«تستطيعين ان تقولي ذلك في هذه اللحظة وتؤمنين به؟ وسوف اعلمك كيف تتمتعين بالعيش مثلي حتى ولو كان هذا آخر شيء افعله».

«الست تتحدى القدر بكلامك هذا».

«القدر؟».

رفع ظهرها الذهبي نحو وجهه، وأضاف:

«انك انت الوحيدة التي اريدها، يا طفلتي الحبيبة، فقط انت».

«انت تأخذ متعتك، ولكن الا تهتم، كورتيز اذا ما ساستعيد ذاكرتي، انت تبدو وكأنك تريدني هكذا، لعبة ضائعة بين ذراعيك».

«تلك هي العربية المغروسة في روحي، اذا ما قلت انني اريد ذلك فسوف تصدقينه، لذا كوني هادئة، ودعيني اقبلك فقط».

اغلق فمه فوقها وضاع ضوء الشمس عندما اغمضت جفنها، لم تعد تستطيع التفكير.

كانت تلك العشيقة ملاذه، تحميه من تلك الحقيقة، هذا القرصان الغازي الذي حملها على اجنحة العاطفة.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

كيف تصرفت، سألت ارابيل نفسها، عندما التقت عائلته على الغداء واصبحت متأكدة بأنه اتخذها زوجة حقيقية وليس امرأة تحتقر الاقتران باسمه. لقد سرقها من نفسها، وذلك الشعور الصغير بالفرح لأنه كان زوجها وليس حبيبها، والآن اصبح هناك تغيير غريب، وشعرت ذلك بقلبها.

كانت نظرتها مختلفة هذه المرة في المرآة، كانت عيناها عميقتان، لمست شعرها وكان عليها ان تعترف انها لم تعد كما كانت.

الضوء يتبع المشط خاصتها، كانت قد بدأت تؤمن بالعادات اللاتينية سواء قبلت ذلك ام لا، لقد عنى كورتيز ان تكون هكذا، وكان عليها ان تصبح منه.

احست به يأتي الى الغرفة وكان حضوره صاعقاً، ورهيباً، وابعدت عنها ظلال الذاكرة وضعت المشط ومررت اصابعها في شعرها وقال الدون:

«ما الخطب، ارابيل؟ هل لديك الم في رأسك؟».

حدقت فيه وكانت هناك صورة لاز المنعكسة في المرآة،

استدارت وواجهت حيث قالت ارابيل:

«لا. انني احاول ان استعيد نفسي، الشخص الذي كنته قبل ان اتزوج ابن خالتك».

من المهم جداً ان تعرفي؟».

انحنت لاز على طاولة الزينة وتفحصت ارابيل بعينين متسائلتين حيث اضافت:

«ليس من الكافي ان تكوني زوجة الدون كورتيز، الذي يملك الأراضي التي يمتد اليها نظرك، والذي بالتأكيد قادر على اقناع المرأة دون ان تضطر للتفكير بماضيها عندما يكون الشخص شاباً يكون المستقل له، اليس كذلك؟».

«لا يا لاز، لأنك لاتدركين كم من المريع ان تكون عشت حياة لا تذكرينها ابداً... واعرف انها مهمة، مهمة بالنسبة لي! كان هناك شخص ما... ان لدي حياتي قبل ان يتزوجني، وبأن هناك شخص ما زال حياً وهو ينتظرني، وسوف اذهب اليه ويستطيع كورتيز ان يذهب الى الشيطان، انا لن ادعي عاطفة مجنونة تجاهه، من اجل ارضاء اي منكم، لماذا علي ذلك؟».

«اوه، ربما هناك اسباب».

نظرت لاز الى السرير الغير مرتب الذي تشاركت ارابيل والدون فيه وقالت:

«لقد عرفت انه لم يعد يمضي ليالي اخرى وحيداً، وانت ما زلت تتكلمين عن شخص آخر؟ لابد انك مجنونة».

«هناك اكثر في هذه الحياة مما يقدمه سرير النوم، ان لدي ابن خالتك عضلات وقوة، لقد تمنيت ان يتصرف كشخص نبيل، ولكنه لم يكن كذلك، هل هو كذلك؟».

«ان لديك لسان مثل بعض النساء اللاتينيات، هل تعرفين ذلك، كورتيز لن يسأل عن العسل في اللسان فهو يفضل صحن بهارات حرة، انت تبدين الآن امرأة حقيقية ولقد ذهبت الظلال من تحت عينيك واصبح هناك بريقاً عندما التقيناك لأول مرة تساءلنا

www.elromancia.com

اذا ما كان كورتيز قد فقد نظر عينه السليمة نظراً لهيئتك في ذلك الوقت، ولكن فجأة اصبحت حية... هل ذلك مثير مع الرجل؟ لا استطيع الانتظار اكثر».

«من الأفضل ان تنتظرني والا سيحطم كورتيز عنقك».

«وسوف يحطم عنقك ايضاً ارابيل اذا ما تكلمت ثانية عن الهروب الى رجل آخر، يجب عليك ان تدركي انك اصبحت لكورتيز بالروح والجسد؟ كونك غريبة فهذا يعني انك تحبين استقلاليتك، ولكن اسبانيا بلاد الرجال وعلى المرأة ان تكون متفهمة لذلك».

«نظام الحريم... عبدة لرغبات الرجل».

«هل وجدت حقاً هذه الرغبات صعبة للغاية لكي تتحملينها».

نظرت لاز الى الروب الحريري الأبيض وقالت:

«وانظري الى ما قدمه لك».

ذهبت ارابيل ناحية خزانة الثياب وفتحتها، مررت يدها على مجموعة ثياب السهرة وثياب العمل وفكرت انها ستكون ممنونة له لأنه منحها هكذا اشياء، لم يهتم ابداً لفقدانها ذاكرتها، كان جسدها فقط الذي يريده، والآن حصل عليه، عضت على شفتيها وسحبت تنورة بيضاء وبلوزة بلون الزهور البرية، وراحت تخلع ملابسها وهي متيقظة للاز التي راحت تراقبها بفضولية الفتاة اللاتينية تجاه شخص غريب عنها تماماً. وضعت ارابيل حذاء ابيض في قدميها ورجعت الى المرآة، مشطت شعرها ببطء وعقصته بواسطة دبوس.

وضعت احمر شفاه زهري على شفتيها، لقد تأكد الدون زوجها من ان فمها اصبح مغرياً اكثر. وهنا قالت لاز:

«انت تعتقدين ان كورتيز مهتم فقط بمظهرك».

فتحت لاز محفظة جلدية موضوعة على طاولة الزينة وامسكت انفاسها قائلة:

«سانتا ماريا، هل اعطاك هذا الليلة الماضية؟».

كان هناك بروش مؤلف من قلبين من الألماس في يدي الفتاة وكذلك زوج من الأقراط، جميلة، تقلصت اصابعها وأرادت ان تخطف المحفظة من لاز وترمي بمحتوياتها خارج النافذة وقالت:

«انه معتاد ان يدفع من اجل متعته بحيث انه نسي انني مجانية. قلبين وسهم في وسطهما... من كان يعتقد انه يمزح؟».

«انت فعلاً محظوظة».

وقفت لاز هناك تحدق في المجوهرات بعينين مدهشتين وأضافت:

«لا تقولي او تتخيلي ان الرجال اللاتينيون يصرفون اموالهم على النساء اللواتي تقدمن انفسهن... عندما يقدم الاسباني المجوهرات فهذا يعني انه يقوم باستثمار ان زوجته هي مصرفه».

«يا لها من رومنطيقية».

اخذت ارابيل المحفظة من لاز واغلقتها بعصبية وقالت لاز:

«ان الشعب الاسباني هو شعب واقعي، وعليك ان تقبلي ما هو حقيقي وتتناسي ما لا يمكن ان تتذكريه ابداً».

«انا... انا علي ان اتذكر».

شبكت لاز يديها وشعرت ثانية بأنها عالقة في فخ الزواج وقالت:

«كان على كورتيز ان يتزوج امرأة من نوعه... ربما مونتي ليفري ربما تناسبه كثيراً».

«اجد انه من الصعب قياسك... الن تحاولي ان تضعي البروش وترين مدى تأثيره، وذلك هو الشيء الأول الذي يمكن ان يقوم به شخص طبيعي..».

«ولكنني لست في كامل قواي العقلية، لقد فقدت ذاكرتي، ولا اتذكر ابداً الأشخاص الذين اعرفهم واحبهم، ولا استطيع ان ادعي بأن ذلك لا يهمني حيث نصفي ما زال في الظل... وكأنني خلقت فقط عندما اتى كورتيز الى ذلك السجن وتزوجني، لقد استغلني، عندما كنت قادرة على الدفاع عن نفسي، ولن اغفر

www.elromancia.com

له ابداً، ولست ممنونة لمجوهراته اللعينة».

مشت ارابيل بعيداً بينما كانت تتكلم، لم تكن واعية كم بدت جميلة في هذه الثياب، كانت منهارة. كيف يمكن تجنب ذلك عندما يتهامس الخدم عنها ويقول عنها الغريبة.

«ان هذا المكان اقطاعي، نوع من القلاع مملوء بالأشخاص الذين يريدون رضاه وكان حياتهم تعتمد على رضاه وكرمه، سيد المقاطعة، الذي بنى نفسه بنفسه في مملكته والذي لن يصبح راضياً الا عندما يراني احمل طفلاً منه».

«لن تكوني فظيعة يا عزيزتي ولكنك ستبدين ساحرة وانت في تلك الحالة».

سمعت ارابيل صوت الباب يغلق فنظرت ناحيته وكان هناك زوجها في قميص ابيض وبنطال رمادي داكن حيث قال:

«انظري كم هي حانقة يا لاز؟».

احترقت ارابيل في نيران عذابها.

«هذه؟».

مررت ارابيل يدها في شعرها، وهي تكرهه لأنه يهزأ منها امام هذه الفتاة وأضافت:

«جلد وعظام وشعر اشقر».

«ذهبي، شرارات ذهبية يا حبيبتي، بحق السماء كل ما اريده هو ان اتمتع بالنظر اليك بعينين سليمتين وليس بواحدة».

وبينما كان يقول ذلك اصبح حاجباه وكأنهم خط واحد داكن فوق عيناه وأضاف:

«ان لدي الذاكرة فقط من جهة كرم امرأة ومدى التبذير الذي تقوم به عندما تنظر الى رجل ذو عين واحدة».

«كان ذلك خطأك... خطأك تماماً».

قالت ارابيل ذلك وهي تبكي وتضيف:

«لم يكن هناك من داعي لك ان تقاتل ثانية، ولكنك لم تستطيع مقاومة التحدي، ان لديك ممتلكاتك وسلامتك من عدم

رجوعك الى الفقر ثانية، ولكن في تالافيرا كان جوسيليتو يقوم بآخر محاولة، اليس كذلك؟».

خرجت كلماتها وحدقت فيه ونظرة رعب في عينيها وأضافت:

«لماذا... ما الذي جعلني اقول ذلك... من هو جوسيليتو؟».

«لقد كان احدى المصارع الأكثر شهرة في اسبانيا واعظمها ربما».

قال الدون هذه الكلمات بهدوء وكان جسده مستقيماً تماماً حيث اضاف:

«انت بدون شك تتكلم عن هذه المنطقة في اسبانيا، لقد مات في تلافيرا حيث فقدت عيني، وكما قلت ارابيل، لقد كان ذلك خطأي، لماذا على المرأة ان تشعر بالعطف تجاه ذلك».

«انا لا...».

قالت ذلك، وكان هناك الم غريب في داخلها وكأنه آلمها للحظات فكرة تعرض هذه العينان للأذى من ثور هائج حيث كان هناك دماء على بدلة المصارع الذهبية والسوداء.

«لسان حار، اليست كذلك يا لاز؟ يجب ان نجعل منها امرأة اكثر اقتراباً».

رفع يدها اليسرى الى شفتيه قبل ان تستطيع منعه، وشعرت بفمه على جلدها حيث قال:

«خجولة، يا عزيزتي؟».

قال ذلك بهزء بينما كانت يده تتعلق بها وقال:

«لقد تركت شيئاً ما، وأنا اريدك ان تلبسيه..».

«هذا يا ابن خالتي».

التقطت لاز المحفظة الجلدية وسلمته اياها حيث فتحها، وتفحص البروش للحظات وبعد ذلك سحبه من المخمل الذي يحمله حيث لمع بلون النار البيضاء والزرقاء بين يديه ثم ناسبه على بلوزتها فشعرت بلمس يديه وقال:

«جميل جداً، ولـه مغزى اليس كـذلك؟ قلبين مـوضوعـان فوق قلب زوجتي».

«ان دعاباتك غير محبوبة، ان قلبك وقلبي هما مشتركان فقط مثلما الأرنب بالنسبة للأفعى».

«يـا لـك من امـرأة، ولا حتى كلمـة شكـراً للمجـوهـرات التي صنعتها خصيصاً لك».

«وماذا علي ان افعل، ان اكون فخورة جداً».

فجأة امسكت بها يده بقوة ووحشية وشعرت بـأن عظامهـا سوف تتحطم وقال:

«دعينـا نـذهب الى الأسفـل ونتنـاول بعض الـطعـام، يبـدو ان المعدة الخاوية لها تأثير سلبي على مخيلتك».

قادها الى الباب المقوس وتبعتهم لاز وهي تقول:

«اذا ما كانت هـذه هي مباركـة الزواج فـأنا اعتقـد بأنني سـوف التحق باحدى الأديرة».

«لاز».

ضحك قليلاً وأضاف:

«انت فتاة لاتينية تماماً مع حياة طاهرة تماماً، اعتقد بأن زوجتي هذه هي التي يجب ان تكون هناك».

«اي شيء سيكون افضل من تحمل غطرستك... لا تستطيع ان تضم قلبي الى قلبك حتى ولو كنت قوياً كفاية لتتغلب علي في طـرق.. اخرى؟ قلبي هـو لي، ومهما حـاولت دون كـورتيـز فلن تجعل مني عبدة عاشقة، ربمـا لن اتذكـر سوى القليـل عن حياتي السابقة ولكنني اكيدة من شيء واحد وهو انني امرأة احبت شخصاً واحداً. اني اشعر بذلك في عـظامي واعرف بـأنه لا يـوجد رجـل سنيـور، قادر ان يكـون مكان هـذا الشخص الذي عـرفته قبـل ان استيقظ لأجد نفسي متزوجة منك».

حـدق فيها الى اسفـل وكان هنـاك شعلة ناريـة في زاويـة عينه الذهبية، متوحشة بـدائية، آمـرة. كان ذلـك شيئاً لا يحتمـل وكان

عليها ان تهرب منه ومما يثيره فيها وهي تنظر الى عينه تلك.

«دعني... اذهب».

قالت ذلك ورجع صدى صوتها من خلال الجدران المنقـوشة، غير مهتم اذا ما حطم ذراعها، برمت ارابيل بعيـداً عنه واستـدارت عندما وصلت الى قمة السلالم، وتركت يده الأخرى فوق وجهـه، انها لا تعرف حقيقة الا كونها كانت على حـافة السـلالم وعلى حـدود الخطر عنـدما دفعهـا فجـأة الى الـوراء ووقعت على ركبتيها وهي مكانهـا تمسك بحـديد السـلالم وقلبها يضـرب بتيقظ وعظام ركبتيها تؤلمانها.

كـل ذلك حصـل في ثواني... رأتـه مثل البـرج فوقهـا. مثـل صـورة القدر، ثم سقط عنـدما سمعت صـوت جسـده وهـو يسقط ويسقط على طول السلالم، لقد فقد تـوازنه وهـو يدفعهـا في تلك اللحظة بعيداً عن الخطر.

حتى عنـدمـا صـدرت شهقـة هلع منهـا سمعت احـدهم يبكي ويقول:

«لقـد قتلتيـه، يـا ايتهـا الفتـاة الغبيـة! انت... اسـتـطيـع ان اقتلك».

امسكتهـا يدا لاز بـوحشية وغضب ثم تـركتها قبـل ان تنزل الى حيث الدون كورتيز مستلقي وهو مقوس في اسفل السلالم.

كـان ذلك مثـل كابـوس، جلست هناك لا تقـوى على الحـراك بينما اشخاص يركضون من عدة نواحي من المنـزل ناحيـة الرجـل الذي لم تراه سوى غالباً وحياً.

اخـرجوه، هؤلاء الـذين يعشقونـه، وكانت اصـواتهم الاسبانيـة تـأتي الى سمعها بـأمواج غـريبة... ولم يكن لـديها القـدرة على الاعتراض عندما اخذها شخصاً ما وقادهـا الى الغرفـة، شخص ما تكلم وكانت مدركة انه كـان عليها البقـاء هنا، مثـل طفلة تصرفت بتهـور وكـان عليهـا ان تتـرك لـلآخـرين مهمـة الاعتنـاء بـزوجهـا المجـروح. مجـروح؟ تعـلقت في ذراع شخص ونـظرت الى

صاحبها، صديقه الذي ابتسم ولم يبدو عليه الرعب وقالت:

«آه، . . يا للسوء».

«نحن لا نعرف بعد».

قال ذلك وبدأ يبتعد عنها.

«انا . . . انا يجب ان اذهب اليه».

حاولت ان تعبر امامه ولكنه منعها قائلاً:

«لا . . . كورتيز غير واعي ولا يمكن لك ان تفعلي شيئاً، لقد ارسلنا وراء الطبيب».

«ولكنني . . . زوجته، ان لي الحق . . .».

«هل لك فعلاً؟».

«هذه . . . هذه ليست مصارعة ثيران، لا تستطيع ان تأخذه وتبقى الممرضات امامه، هذه سان دي ڤيلا وهو زوجي».

«من المفيد لك ان تتذكري ذلك سنيورا».

بدا صديقه متهكماً، وكانت عيناه شاحبتان، وكأنه يعرف شيئاً مخيفاً عن تلك السقطة ولا يريد ان يخبرها.

«انها مؤامرة، انتم تريدون منعي من رؤيته، ويجب ان اعرف ما اذا كان سيكون بخير، ان ذلك تصرف غير متحضر، قاس، ماذا ستفعل».

«سوف نخبرك حالما نعرف نحن عن حالة الدون كورتيز والضرر الذي اصابه . . .».

«الضرر؟».

تعلقت اصابعها في ذراعه بشدة وأضافت:

«لقد تأذى ظهره، اليس كذلك؟ لقد دافع عني ووقع هو على عامود الفقري . . . وهذا خطأي، خطأي!».

«نعم . . . لاز اخبرتنا انك انت من دفعه».

شعرت بأنها وحيدة بعد ذلك حيث كان الدون كورتيز الليلة الماضية وهذا الصباح مسيطراً رقيقاً، قاسياً.

«ولكنني لم ادفعه».

«ولكنك تجادلت معه، لقد وصفته بأنه متغطرس، لقد قلت ان اي شيء هو افضل من البقاء معه».

وذلك الشيء يمكن ان يكون تحطم عامود الفقري، ويجعله كسيحاً، ولن يستطيع بعد الآن ان يذهب الى ممتلكاته مثل الفارس، ويجعل المرأة تعرفه، وكم هو عاشق رقيق ومحب وعزيز النفس».

مشت ارابيل تجاه احدى جوانب السرير ودفنت وجهها في الغطاء الواسع والذي ما زال يحمل رائحة سيجاره ورائحة جسده المثير . . . تعلقت اصابعها بالمكان الذي نام عليه، كان يجب ان يكون هذا كافياً لها، وله كان كافياً لأنه كان رجلاً، ولكنها كانت ما تزال مشتافة للدنيا التي حملها اليها . . .

المتعة الجسدية لا يمكن ان تقاس الى جانب الى انها احبت شخصاً ما . . . ولكن اذا ما اصبح كورتيز كسيحاً من جراء هذه السقطة. فعندها لن تستطيع تركه ابداً، حتى ولو تذكرت ذلك الرجل الآخر.

كان غير صحيحاً ما قالته لاز، هي لم تدفعه، ولم تفكر بأنها يمكن ان تفعل ذلك، ولكنها تشاجرت معه وهما على رأس السلالم وذلك ما قاده الى ان يسقط. وربما الآن لن يستطيع ان يأسر امرأة بسلطته وقوته وعواطفه اللاتينية الملتهبة.

ربما كانت قد مضت ساعة او ساعتين عندما احضرت لها خادمة صينية طعام وقهوة، ووجدت نفسها على الشرفة الخاصة بغرفة النوم الكبيرة.

وضعت الخادمة على طاولة القش دون ان تنظر الى ارابيل او تتكلم معها. لقد اعطيت لها الأوامر بأن تبقى صامتة، كان على الفتاة الغريبة ان تعاقب، لقد سببت لكورتيز هذا الحادث، وكان هذا العمق الأسباني البدائي حيث الزوجات هم تحت رحمة العادات واقرباء الزوج، كانت خالة الدون واحدة منهم، ولم تسر للحظة عندما احضر قريبها شخصاً مختلف تماماً عنهم.

سألت ارابيل الخادمة التي هزت كتفيها وبدت وكأنها تعتبرها غريبة في هذا البيت وليساعدها الله اذا لم يقوم الدون كورتيز بخير من سقطته وسألتها ارابيل:

«هل وصل الطبيب؟».

حدقت ارابيل في الفتاة بعينين ترجوانها الجواب وأضافت:

«ارجوك يجب ان اعلم شيئاً والا سوف اجن».

«الطبيب وممرضته هنا، سنيورا، ارجوك تناولي طعامك وهو ساخناً، ولا تجلبي الصينية الى الأسفل فأنا سوف آخذها لاحقاً».

هل سيأخذون السنيور الى المستشفى... اخبريني؟».

«لا استطيع ان اقول سنيورا، لقد وضع في غرفة في الطابق السفلي، وهذا كل ما استطيع قوله».

«كل شخص يلومني، اليسوا كذلك؟ انا الوم نفسي، ولكنني لا اعتقد انني استحق هذه المعاملة، كورتيز نفسه لم يكن ليعاملني هكذا. انه يريدني هناك بجانبه، اعرف ذلك».

«ليس من المؤكد دائماً ان يدرك الغرباء طريقة تفكيرنا الاسبانية، نحن لسنا شعب رقيق، نحن نسامح وننسى بسهولة. وهنا في المزرعة كلنا ندين الى الدون كورتيز، فهو يقدم لنا الطعام الجيد، والعمل للرجال وهو يصغي الى مشاكلنا ويحاول مساعدتنا في حلها، انت لست سوى فتاة غريبة لم تملك الحب في قلبها كما نشعر به نحن... انت مثل فتاة المدرسة جميلة، لا تتناسبي مع زواج من رجل حقيقي وشجاع مثل الدون، ولكن الرجال احياناً يديرون رؤوسهم، وهذا عمل الشيطان بالتأكيد».

انسحبت الخادمة من الشرفة وتركت ارابيل وحدها وهي تتعذب، تنتظر حكم الطبيب على الجسد المحطم والذي كان حياً منذ ساعات فقط.

ارتجفت ارابيل، ضغطت بيديها على حضنها وتنهدت بصوت عالي، ارادت ان تكون معه، تبعد شعره الأسود عن وجهه النائم، وتكون هناك عندما يفتح عينيه لترجوه ان يصدقها بأنها لم تريد ابداً

ان تراه ساقطاً وجسده يتحطم فوق هذه السلالم.

عندما يقوم بخير سوف يسأل عنها، وسوف يحتاجها، مثلما احتاجها الليلة الماضية وسوف تحارب عائلته عندما يمنعونها من البقاء الى جانبه.

وبيدين مرتجفتين شربت قهوتها الحارة المرة واجبرت نفسها على تناول بعض الطعام دون الاحساس بمذاقهم، كم يستطيع الاسبان ان يكونوا قاسيين، فكرت بذلك شعب الحلبات، عشاق المصارعة.

حدقت بعينين دامعتين الى الأراضي امامها والى الفناء، حيث كانت اشجار النخيل والأزهار ذابلة وكأنها حزينة من اجل سيدها. ماذا لو كان عامود الفقري محطم كلياً، هذه الأحذية الجلدية العالية سوف تبقى مكانها، وزوج الأحصنة العربية سوف تصبح سمينة لقلة التمارين الصباحية والجولات الاستكشافية.

عضت شفتيها على الفوطة التي كانت بين يديها وكأنها تريد ايلام نفسها، ارادت ان تنزل الى الأسفل وتبعد هؤلاء، الأشخاص الذين يمنعونها عنه، لترى بنفسها اذا ما كان سيحرم من كل الأشياء التي يحبها... ارضه، ثيرانه... وامرأته...

ارتجفت كلها عندما تذكرته وهو يغطي وجهه بشعرها، ورغباته ترجع الى طبيعته العربية الآتية من الصحراء، كانت خائفة من كل ذلك.

سوف يكون من المخيف... خوف لا يحتمل اذا ما اصبح بسببها يستعمل الكرسي ذات العجلات، لم تسأل عن ذلك ولا تريد ان تتصوره في هذا الوضع. ابداً، ابداً ولكن ربما يحصل ذلك وسوف تلومها عائلته على ذلك، ويبعدونها بينما هم يرون جسده المحطم ويذهبون الى الكنائس للصلاة من أجل شفائه.

حلّ وقت الظهيرة، وسمعت الرجال يمتطون الأحصنة على عشب الأرض، ولم تلتقط اذنيها اي صوت لسيارة اسعاف، وهذا يعني انهم يبقون كورتيز هنا في المزرعة، اشارة الى انه سوف

يتأذى اكثر اذا ما نقل الى مكان آخر، ام انه بقي هنا حتى يشفى ويستطيع السير على قدميه.

يجب ان يكون الاحتمال الثاني هو الصحيح، يجب ان يكون والآن فانها سوف تلوم نفسها مدى الحياة.

حل الليل وأحضرت لها الخادمة العشاء الى غرفتها، كانت هذه امرأة كبيرة، حركت الصحون الفضية وتجاهلت ارابيل.

«بحق السماء اخبريني».

وقفت ارابيل على قدميها وبدت تعيسة وحدقت فيها المرأة للحظات ثم ذهبت بعيداً وكأنها خائفة مما ستفعله الفتاة بها. لم تستطع ارابيل الاحتمال فركضت من الشرفة عبر الغرف ومنها الى القاعة وعندما وصلت الى السلالم وحدقت في المكان الذي سقط فيه الدون وتسمع صدى الكلمات ثانية، وتراقب في ذعر سقوطه المخيف.

شخص ما وقف على اول السلالم يراقبها... صورة رجل نحيل، وقميصه الأبيض يلمع تحت الأضواء الخافتة.

«كورتيز...».

صرخت الكلمة ونزلت بسرعة ناحية تلك الصورة النحيلة وحدقت فيه ثانية عندما اصبح فوق الضوء مباشرة، رأت وجهه وغرق قلبها ثانية.

«انه انا، خوان، يجب عليك البقاء في غرفتك، ارابيل، ان امي غاضبة منك...».

«يجب ان اعرف عن كورتيز».

تعلقت بذراعه وهي ترجوه:

«لي الحق بأن اعرف، وانت لست متوحشاً لكي لا تخبرني، على الأقل اخبرني كيف هو الآن، خوان».

«لقد استعاد وعيه منذ ساعتين».

قالها خوان بهدوء، وكأنه لا يريد ان تسمع والدته وتجعله يتوقف وأضاف:

«انه مصاب بعدة رضوض، مثلما تتخيلين... لماذا دفعته ارابيل؟ ماذا حصل لك؟».

«انا لم... لابد ان لاز اخطأت، او انها قالت ذلك لتجعلكم تكرهونني، كيف استطيع ان ادفعه؟ انه قوي للغاية وقادر على تحطيمي بيديه اذا ما اراد ذلك. لقد لويت حذائي وكدت اقع عندما دفعني وبدا انه سيفقد توازنه. خوان، انها الحقيقة، ويجب ان اعرف اذا ما كان بخير، لن يكون من العدل اذا ما اصبح محطماً... حتى فقدان عين لا يمكن ان يقارن بفقدانه لمحرك حياته. سوف يمشي؟ عامود الفقري.. انها مجرد رضوض؟».

«رضوض قاسية، ولن يتأكد الطبيب من حالته الا حين يقوم بتصوير ظهره، ولكنه بقي هادئاً وربما يذهب الى المستشفى غداً».

«هل استطيع ان اراه يا خوان؟ سوف تسمح لي برؤيته، اليس كذلك؟ سوف اكون هادئة، ارجوك..».

«لا اجرؤ، مهما حصل بينكما فوق، فقد كنتما تتجادلان، وانت تعرفين كما اعرف انا بأن الدون يحتاج الى كثير من الغضب ليفقد توازنه، يجب ان ترضي بما اخبرتك به، ارابيل، لا يبدو مجروحاً تماماً، ولكننا لا نستطيع ان نكون اكيدين تماماً..».

«هل تكلم مع شخص ما؟ هل ذكرني...».

«امي كانت معه، لوحدها، ربما قال لها شيئاً».

«انها تكرهني اليس كذلك؟».

شعرت ارابيل بالتعب فاستلقت على احد المقاعد، وانهمرت الدموع الساخنة على وجهها، احست بأن خوان يحدق بها، وعرفت انه لا يعرف ما اذا كان خوفها على نفسها ام على زوجها. الحب كان الحب، لقد عرفوا كل شيء عن زواجهم، وكانوا مدركين بأنه جعل منها الليلة الماضية زوجة فعلية له، والآن هم يقولون بأنها ربطت دفعها له من على السلالم بالأمل في وضع حد لأي ممارسة حب ثانية.

«انا اعرف كم يبدو الوضع سيئاً بيننا انا وكورتيز، وانا اردته ان يذكرني بأشياء تفتح عقلي، ليجعلني اتذكر... اوه، كل شيء معقد، زواجنا هذا، كان باستطاعته اخراجي من ذلك السجن دون الزواج مني... لقد اجبرني على ذلك، يعرف اشياء نسيتها، بأن هناك شخص في حياتي».

«يبدو الينا بأنه قدم اليك افضل ما يكون، وفي ظروفك خاصة، لربما كانوا اخذوك بعيداً وقتلوك على انك جاسوسة».

«ولكنني مواطنة اميركية، لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك».

«انهم يفعلون ذلك مع الآخرين، لم يستطيع كورتيز ان يخاطر بك ويتركك لتطلق عليك النار مثل...».

«مثل من، من قتلوا».

«الطالبين، الا تعرفين ارابيل؟ الم يخبرك كورتيز؟».

«لا... لا، ربما لأنه عرف بأن شخصاً منهما هو هام بالنسبة لي».

كان شخصاً من هؤلاء الأثنين الذي يعني لها الكثير، ولكن وجهه كان خالياً في عقلها، ولم يكن هناك اي كلمات حب تتذكرها.

«انني قلقة وضائعة».

قالت ارابيل ذلك وشعرت بقدميها ترتخيان عندما تقدم منها خوان وحملها الى داخل الصالة ووضعها على كنبة جلدية، ووضع وسادة وراء رأسها.

«استلقي بهدوء وسوف احضر لك بعض الكونياك، يا ارابيل المسكينة، انك مرتبكة وضائعة».

مشى ناحية خزانة المشروبات وسمعت اصوات الكؤوس، رجع ووضع ذراعاً حولها ليرفعها من اجل ان تتمكن من ارتشاف المشروب.

«انا... انا لا استطيع».

«يجب عليك ذلك».

كانت عيناه داكنتان وأضاف:

«ايتها الفتاة الضائعة المسكينة؟ اشربيه بهدوء لتستعيدي قوتك».

وكان يساعدها في الشراب فرأت انه من الجميل ان يساعدها احد بعد هذه الساعات الصعبة وقالت:

«انت شاب لطيف يا خوان، كورتيز لم يكن يحبك، هل هو كذلك، لم يكن في حياته اي راحة، كان عليه ان يقتل او يقتل، لا استطيع ان اقول انني الوم والدتك لأنها ترفض مقابلتي للدون، انها لعبة متوحشة».

«ان لهذا معاني عديدة بالنسبة للشعب الأسباني، فذلك يكلف المصارع الناجح كثيراً».

«وأنت لست مهتماً في هذا النوع من النجاح، هل انت كذلك خوان؟ انت تريد حياة طبيعية دون اي نوع من الطموح الذي يحول الرجل الى نوع من الشيطان».

«انت تتكلمين وكأنك تدركين شعور من تحب العيش الى جانب هكذا رجال... رجل يقوده شيطان».

«الموت البارد في حر الظهيرة، او شيء قريب من ذلك مثل كورتيز في تلاقيرا عليه ان يقتل من خلال قناع احمر، والجمهور يصرخ ويهلل مثل البرابرة، ويصفق له وكأنها كانت لعبة وليست عملية الم للثور والمصارع معاً، حيث لم يكن يريد احد ان يشاهده، حتى لو مات فوق تلك الرمال، ولقد عرف انني شاهدته، لقد عرف انني كنت هناك، لقد عرف كم اكره انا ذلك ولقد رجوته ان لا يقاتل ثانية. لقد احتجيت، بكيت، ولم يكن هناك اي جدال مثل ذلك..».

هناك وعند هذه النقطة، احست بالدوخة من جراء ما كانت تقوله، توقفت ارابيل وحدقت في عينا خوان المدهوشتين، لحظة طويلة، طويلة من الاكتشاف ثم سمعت صوت من زاوية الغرفة يقول بغضب:

«سوف تترك هذه المرأة حالاً، هل تسمعني يا خوان، كانت فتاة متهورة وغبية ولن ادعك تحت سحرها الأشقر مثل ذلك الشخص في تلك الغرفة الثانية».

«امي».

سمح خوان لأرابيل ان تذهب بعيداً ووقف ينظر الى والدته وكأنها كشفته وهو يقوم بعمل مشين وقال:

«لم تكن تشعر ارابيل انها بخير وكنت اقدم لها بعض الكونياك... حيث كانت تقول عدة اشياء غريبة».

«بدون شك كانت كذلك».

قدمت السنيورا ارمنديز الى الغرفة وعرفت ان المرأة تهتم بالدون وكانت معه لمدة ساعات وقالت:

«انني ذاهبة له».

قفزت على قدميها واضافت:

«لا يمكن ان تبقيني بعيدة عن الغرفة بعد الآن، سنيورا، وانا اعرف بأنه يريدني» قالت بقوة وحزم ارابيل.

«آه، يريدك، كنت ارجوه واصلي له من اجل ان يرسلك بعيداً، لقد بذلت جهدي كي اقنعه بأن طريقك الغريبة لا يمكن ان تنسجم معنا، ولكنه رفض ان يصغي الي، لا يوجد رجل اعمى مثل الرجل الذي يحب، لقد فعل كورتيز كل ما هو ممكن لأجلك، ولكن في المقابل انت اعطيته كل ما هو ضار، انت تستحقي ان ترسلي بعيداً، واذا كانت لدي طريقتي...».

«لو تعرفين ماذا يعني لي كورتيز... انه شيء غالي جداً» قالت ارابيل.

لم تعرف ما حملها بعيداً عن الصالة، ربما كانت اجنحة، ولكن لا يمكن لأحد ان يوقفها ويمنعها من الوصول الى ذلك الرجل، ظل ما زال يتحرك لجسد وقوة الدون كورتيز. ولقد كان لسقطته معجزة حيث ذهبت الى السرير وشعرت بارتباك العروس والتي تحب بجنون الرجل الذي يستلقي هناك وهو ينظر اليها.

مد احدى يديه فركضت وامسكت بها، ركضت هناك وراحت تقبل اصابعه ويديه بدموعها وهي تضحك وتبكي في آن.

«حبيبي... يا روحي، يا لي من غبية لماذا لم تقل لي ذلك؟ لماذا جعلتني اتصرف مثل بلهاء واصدق انه يوجد شخص آخر غيرك».

وضعت يده على شفتيها واضافت:

«لقد ابعدوني عنك، كان الجحيم بالنسبة لي، يا حبيبي، كيف تشعر؟ هل انت مصاب ومحطم تماماً؟».

«انا بحالة جيدة تسمح لي برؤية وجهك الحبيب».

قال ذلك وهو يلمس وجنتيها حيث اثار الدموع ويضيف:

«لم الاحظ بأنهم كانوا يمنعونك عن رؤيتي بالقوة، لقد اخبرتني خالتي انك لا تريدين رؤيتي...».

«اوه، يا لها من كذبة... اولاً لاز تقول لهم انني دفعتك من على السلالم، والآن خالتك تنسج هذه القصة، هل تكرهني كثيراً؟».

«انهم يعتقدون انك... تكرهينني، ماذا حصل يا عزيزتي، هل رجعت بعض الذكريات؟ اومأت ووصلت الى ذراعه وهي تهمس:

«هل انا اؤذيك».

«يبدو دائماً اننا نقول لبعضنا هذه الأشياء، لا يا حبيبتي، ربما انت قد غضبت مني احياناً ولكن عرفت دائماً في اعماقي بأنك ما زلت تهتمين لي، اليس كذلك؟».

اخذت وجهه بين يديها، تلاطفه وهي تبكي وتقبل وجنتيه واضافت:

«كورتيز لماذا لم تحاول تذكيري؟ وضبرك.. انت... كل هذه الأسابيع معي في الغرفة الثانية، في الأيام الماضية كنا... ما الذي منعك، حتى الليلة الماضية؟».

«انا كنت املك على الأقل هذا ولم اجرؤ ان اطرح المسألة،

ولكن الليلة الماضية. . . وبحق الآلهة انني عندما لمستك كل ما كنت افكر به تبخر وكان علي ان افعل ما فعلته وامتلكك وليحصل ما يحصل. كان مجداً صافياً، ولكنني دفعت ثمنه اليوم، آه هذه السلالم كانت مثل السوط فوق ظهري. . .».

«أوه، لا تكمل».

تنهدت ووضعت يدها على فمه وقالت:

«لا استطيع ان اتحمل ذكرى تلك اللحظات، لقد اعتقدت انك مت او اصبحت كسيحاً، هل ستكون بخير يا حبيبي؟ ماذا قال الطبيب؟».

«انه يعتقد بأنني سأعيش. . . واحب».

كانت ابتسامته جذابة وارتعشت ارابيل عندما تحركت شفاهه على حنجرتها وعنقها وقال:

«دائماً يا ارابيل، لم اتوقف للحظة عن حبك وانتظارك. لقد دخلت كل الملاهي في سيفيل ومدريد بعد ان تركتني ولقد وضعوا تلك الرقعة اللعينة فوق عيني. لقد اردتك! يا الهي الكبير، هل اراد رجل امرأة مثلما انا اردتك، ولكنني سمحت للكبرياء ان يقف في طريقي حتى نفذ صبري، وبعد ذلك عندما ذهبت الى فنزويلا، حيث كنت انت قد رجعت الى العمل عند امانويل، اكتشفت بأنك وقعت في مشكلة صعبة مع السلطات هناك بسماحك لاثنين من الشباب بالاختباء في شقتك، لماذا بحق الشيطان فعلت ذلك؟».

«لقد عرف واحد منهم انني اميركية اعمل لدى اسباني في المدينة، ولقد اتوا ودقوا على بابي آخر الليل، كانوا خائفين وكانت اعمارهم اقل من عشرين وانا. . . انا لم استطيع ابعادهم، والآن اخبرني انهم قتلوا».

ان صدمة رؤية كورتيز يقع جعلت عقلها يرجع، ولكن ما زال هناك الذكريات واحداها كانت لغزاً محيراً.

«كورتيز كيف التقينا؟».

كانت لحظة صمت ثم ضحك بنعومة قائلاً:

«لقد عملت انت عند احدى المستخدمين لدي في فنزويلا، شخص يعشق المصارعة، وعندما قدم الى اسبانيا احضر معه سكرتيرته الأميركية الباردة، ولقد قام بتعريفنا ببعض وفجأة رأيت البرودة تمتزج بالدفء عندما ابتسمت لي في المرة الأولى. آه، ارابيل حبيبتي، الم تعرفي انه بالنسبة لنا كان الحب عندما التقت عيوننا؟ كان القلب يلامس القلب، ودمي يتناغم مع دمك، لم يكن علينا ان نتكلم بالكلمات، لقد تكلمت اعيننا، وفي ذلك الوقت كان لدي عينان اثنان والتي اكلتك من قمة شعرك الذهبي حتى اطراف اصابعك. . . ربما لا تتذكرينني بعقلك عندما مارست الحب معك يا معشوقتي، ولكن جسدك كان يتجاوب مع جسدي مثل الزهرة مع النحلة، لقد خلقت من اجلي، دائماً وابداً، وانا كنت اريد الاحتفاظ بك هنا سواء تذكرت ام لا عندما فقدت عيني في الصيف، لقد التقينا وعرفنا بعضنا ووقعنا بجنون في الحب.

«وأنا تركتك بعد ذلك، ارسلت لك رسالة وطرت بعيداً عنك، معتقدة انني لن اقابلك ثانية».

«ما زلت املك تلك الرسالة، استطيع ان اتذكرها من ذاكرتي حيث قلت لي ان المصارعة هي حب حياتي وكذلك تعلق الجماهير والدموع وكذلك الثور، انا لست كافية لك. لا يوجد امرأة قادرة على ملء كل مقاعد الحلبات، لا تتبعني، دعني وحيدة لكي استمر في حياتي دون ان اتأثر بحياتك كمصارع، واعتقدت انني استطيع الاستمرار بذلك ولكنني كنت مخطئة، ان اراك وانت مضرج بالدماء كان شيئاً صعب عليّ، لقد احتجت الى زوج وليس الى بطل، احتجت لك كلياً وليس جزء منك، لقد احتجت الى الأمان، وليس رؤيتك هنا في الحلبة، مصارع يلعب مع الموت وكأنها لعبة ورق، انا احبك كثيراً لكي اعيش في الظل، يا حياتي، ولتعتني بك الآلهة. . . تلك كانت الرسالة منك

ارابيل بعد ان فقدت عيني وأنت هربت بعيدا عني، لقد كنت حزين، ولكن بدأت الاحظ تدريجياً الحقيقة فيما كتبته الي».

رفع وجهها ببطء وطبع قبلة مثيرة على شفتيها وأضاف:

«آه ارابيل، لم يكن ذلك سهل علينا، ولكن من الآن، لعنة الله على هذه الرضوض كيف استطيع ان اعيش الحب معك».

ضحكت ولفت ذراعيها حول رقبته وقالت:

«غداً سوف تصور نفسك بالأشعة يا حبيبي، وسوف نتأكد من انك ستكون بخير قبل ان نعيش حبنا في غرفة نومنا، اوه، ولكن كم كنت قاسية معك، لماذا لم تحاول تحطيم عنقي».

«لأنني عرفت ما تؤمنين به، بأنك قدمت قلبك الى شخص آخر، لقد كنت مخلصة لي في طريقة غريبة ولم استطيع قول اي شيء، كان علي ان ادعك تجدينني ثانية بنفسك، وشكراً للسماء انك فعلت، ان تحبي ما وجدتيه يا حياتي؟ هل انا مناسباً لك وبحق السماء انت مناسبة لي تماماً».

كم هم مناسبين لبعضهم عندما ظهروا بعد عدة اسابيع في الاحتفال بهم، عندما راح السكان يراقبون بفرح دون سان دي فيلا وهو يتمشى على طريق السوق وعروسه متأبطة ذراعه. كانت ترتدي زي وطني طويل منقط بنقاط زرقاء بدت سعيدة وراضية تماماً حيث قرنفلة بيضاء معلقة على شعرها الذهبي. وكان زوجها يرتدي قبعة واسعة مكسيكية الطابع، قميص ابيض وبنطال داكن مع سترة جلدية قصيرة. بدوا وكأنهم متلاحمين من بعضهم البعض، ونوع من المباركة الخفية في محبتهم لبعض، كانت عيناها متلألأة مثل الزهور تحدق في وجهه وكأنها تنظر الى الشمس، وبدت قدماها بالكاد تلتصقان بالارض وكأنها كانت نسر ابيض على كتف سيدها.

كل شيء في حديقتهم كان يغني وكذلك اشجار البهارات وحتى الخالة كذلك، خاصة عندما اصبح هناك وميض في عينا الدي فونزو اشارة الى الطفل القادم... حيث سترتفع الالعاب

النارية في السماء وسينشد الغيتار اغاني الحب اللاتينية.

مالت ارابيل وقالت له.

«آه، غداً الازهار والالعاب النارية».

«مثل السيف... الذي وجدته لي في سيفيل، والذي اقسمت ان لا استعمله لاقتل به».

«نعم السيف».

كانت عيناها مملؤتين بالحب وهي تقرأ وجهه وهي اكيدة من حبه لها واضافت.

«انني سعيدة انك علقت سيفك، سنيور هيدالغو ولكنني تمنيت لو عرفت انك سوف تواجه ذلك اليوم المخيف».

«وانا ايضاً لم اعرف يا حبيبتي».

وضعت ارابيل حزاماً من الزهور البرية حول معصمها وقالت.

«تماماً حيث تريدني».

«وليس في ذراعي غريب يا حبي».

«بل في ذارعي محب عاطفي».

ابتسم لها وعبروا في طريقهم ولد صغير لاتيني، وحان الوقت لكي يذهبوا الى التلال حيث الكنيسة الصغيرة ليقفوا في حرمها البارد ويدركو ان زواجهم قد تمت مباركته تماماً.

رفعها كورتيز الى السرج وتسلق خلفها، يحتضنها بقلب عاشق ويدان واثقتان، وشعرت بشفتيه على شعرها ويده القوية على قلبها، اشارة للحب الذي يعيشونه تحت حرارة الجنوب الناعمة وسحر الليالي الاسبانية.